د. ظفر الإسلام خان

المسلمون في بولندا



مؤسسة الرسالة

دار البشير

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

****

رقم التصنيف	٣٠٥,٦١٤٣٨
المؤلف ومن هو في حكمه	ظفر الإسلام خان
عنوان المصنف	واحة إسلامية في محيط كاثوليكي قصة المسلمين في بولندا
الموضوع الرئيسي	١- العلوم الاجتماعية ٢- بولندا - المسلمون
رقم الإيداع	١٩٩٦/٨/١١٤٤
بيانات النشر	عمان : دار البشير

* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٨٩٧/٨/١٩٩٦



مؤسسة الرسالة / بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ ص.ب ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران



ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس: (٦٥٩٨٩٣) تلكس (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان - الأردن

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23706) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

أقلياتنا المسلمة

(١)

المسلمون في بولندا

د. ظفر الإسلام خان

دار البشير

مؤسسة الرسالة



سلسلة "أقلياتنا المسلمة" (كتاب غير دوري)

رئيس التحرير : د. ظفرالإسلام خان

ستعنى هذه السلسلة بتقديم دراسات مستفيضة، بقالب عصري، في كتب صغيرة الحجم ، حول الأقليات الإسلامية في أنحاء العالم . ويرجى من الباحثين والكتاب الراغبين في نشر دراساتهم في هذه السلسلة الكتابة إلى رئيس تحرير السلسلة على عنوانه الآتي :

P.O. Box 9701, New Delhi 110 025, India

مقدمة

يؤمن المسلم – أينما كان – بأنه جزء من أمة إسلامية عالمية، إيمانا بقوله تعالى : "إن هذه أمتكم أمة واحدة" .. وهذا الجزء من العقيدة الإسلامية يدفع المسلمين فى كل أصقاع الأرض إلى التلهف على أخبار إخوانهم أينما كانوا ومعايشة أحزانهم وأفراحهم ومحاولة دعمهم بأي أسلوب ممكن ولو بالكلمة الطيبة والدعاء الصالح..

وانطلاقا من هذا الحس الإسلامي ظللت أتابع أحوال إخواني المسلمين في أنحاء الأرض منذ منتصف الستينيات وأكتب عنهم سواء أكانوا بفلسطين أو تشاد أو إرتيريا أو البوسنة أو كوسوفو أو لاؤس أو بورما أو سريلانكا أو الهند أو فطانى الخ ... وقد نشرت هذه المقالات والدراسات بالعربية والإنجليزية والأردية على صفحات جرائد ومجلات فى مختلف البلاد. وقد قررت الآن أن أجمع هذه الدراسات بعد كثير من الإضافة والتحسين والتوثيق لتقديم سلسلة من الدراسات النافعة إن شاء الله حو أقلياتنا الإسلامية فى كل أنحاء العالم.

وفيما يتعلق بهذه الدراسة بالذات ، فقد سبق نشرها على حلقات أسبوعية بصحيفة **الرياض** (الرياض) خلال يونيو – أغسطس ١٩٩٣، وهى تنشر الآن مع كثير من الزيادة والتنقيح، بالإضافة إلى إثبات الهوامش والمراجع . ولعلها أول دراسة متكاملة حول الأقلية المسلمة فى بولندا، وهى أقصى بقعة وصلها الإسلام قبل تواجد الأقليات الإسلامية فى عديد من البلاد الغربية فى القرن العشرين.

وقد حاولنا الحصول على معلومات رسمية حول مسلمي بولندا وبعض صور آثارهم وذلك عن طريق السفارة البولندية بدهلى الجديدة إلا أنها آثرت عدم الرد.

و أدعو غيرى من الكتّاب والباحثين الراغبين فى نشر دراساتهم فى هذه السلسلة أن يتكرموا بالاتصال بى لأجل التنسيق وعدم التكرار ، ذلك على عنوانى على صفحة ٣ من هذا الكتاب. والمطلوب من كل دراسة أن تستقصى تاريخ الأقلية وظروفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية عبر العصور وخصوصا فى العصر الحالي، مع التوثيق اللازم، وأن تكون فى حدود ١٠٠ – ١٥٠ من هذه الصفحات ، وأن ترفق معها خريطة لأماكن تواجد الأقلية وصور متعلقة بها وبآثارها، وثبت

بالمراجع التى تمكن الكاتب من الاطلاع عليها مع ثبت آخر من المراجع التى لم يتمكن من الاطلاع عليها وذلك خدمة للباحثين.

وإننى لأرجو أن هذه السلسلة ستملأ فراغا فى المكتبة الإسلامية إذ هى خالية من دراسات جادة حول كثير من الأقليات المسلمة. والله الموفق وبه نستعين.

دهلى الجديدة — **د. ظفرالإسلام خان**

١٨ أغسطس ١٩٩٥



خريطة بولندا و المناطق المحيطة بها



توجد جزيرة إسلامية صغيرة وفريدة من نوعها فى قلب أوربا منذ ستة قرون ، بعيدة عن المراكز الإسلامية بأكثر من ألف كيلومتر. وقد جاهدت هذه المجموعة الصغيرة من المسلمين ، العائشة فى بحر من الكاثوليكية طيلة هذه القرون، لتحافظ على شخصيتها و وجودها المتميز. وهم يسمون أنفسهم بـ"البولنديين من الأصل التتري" . وقد تعرضت هذه الأقلية للاضطهاد على أيدى كل من الحكام الكاثوليك و الشيوعيين مع وجود فترات ازدهار نسبي.

وهؤلاء المسلمون هم أخلاف التتر المسلمين الذين هاجروا الى بولندا قبل نحو ستة قرون، وظلوا – حتى الحرب العالمية الثانية – يمثلون الحد الأقصى للتمدد الإسلامي فى الغرب. و لم توجد الجاليات الإسلامية الكبيرة فى بلاد غرب أوربا ، مثل فرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا ، إلا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية.

وكانت مجموعات من المحاربين التتر المسلمين قد وفدت الى المنطقة بدعوة حكامها الأمراء الليتوانيين فى أوائل القرن الخامس عشر وذلك للاستعانة بهم فى الحفاظ على حدودهم ضد الاعتداءات الالمانية. وقد تمتع هؤلاء بكثير من الامتيازات نتيجة ولائهم و تفانيهم للوفاء بعهدهم. وأقطعهم الأمراء أراضى فى بولندا و ليثوانيا حيث لا يزالون يعيشون رغم أنهم فقدوا لغتهم الأصلية وكثيرا من تقاليدهم وأضحوا يتحدثون بلغات المناطق التى يعيشون بها.

ولكن قليلين منا فى أرجاء العالم الإسلامي يدركون وجود جالية إسلامية قديمة كهذه فى بولندا . وهى أبعد جالية إسلامية قديمة عن مراكز الإسلام. وقد عانت هذه الأقلية تحت نير الشيوعية حتى الأمس القريب وإن لم تكن معاناتها على نفس قدر معاناة الشعوب الإسلامية فى الاتحاد السوفييتي والبانيا وبلغاريا . وقد تمتع المسلمون فى بولندا ويوغوسلافيا خلال العهد الشيوعي بحريات دينية محدودة سمحت لهم بممارسة الشعائر الدينية، ولكن لم يسمح لهم بالانضواء تحت لواء تنظيم إسلامي يجمعهم وينظمهم ، كما لم يسمح لهم بالاتصال بإخوانهم المسلمين خارج البلاد.

وكان عدد المسلمين فى بولندا قبل الحرب العالمية الثانية يتراوح – حسب مختلف التقديرات – بين مائة ألف وخمسين ألف مسلم، و لكن تناقص هذا العدد الى نحو عشرين ألف الآن نتيجة عوامل مختلفة – سنتعرض لها فى سياق هذه الدراسة – بينما تضاعف عدد سكان بولندا بصفة عامة . وبولندا جمهورية تطل على بحر البلطيق ، تحدها روسيا شرقا والمانيا غربا وجمهوريتا التشيك والسلوفاك جنوبا .

والغالبية الساحقة لمسلمى بولندا من التتر ، الى جانب عدد قليل من المثقفين البولنديين الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع نتيجة قراءاتهم أو احتكاكهم ببعض المسلمين الوافدين من البلاد العربية والإسلامية الذين استقر بعضهم فى بولندا.

و لم يبق من إسلام مسلمى بولندا إلا القليل إذ يسود صفوفهم الجهل بأصول الإسلام ومبادئه. ويعود السبب فى ذلك الى انقراض العلماء والأئمة والوعاظ بسبب البطش فى العهد الشيوعي . وقد تحول الإسلام فى ظل النظام الشيوعي – الذى انهار سنة ١٩٨٩ – الى مجرد النطق بالشهادتين وصلاة العيدين وإقامة صلوات الجنازة والدفن فى المقبرة الإسلامية فى منطقة بوهونيكى الواقعة على حدود ليثوانيا ولاتفيا ، والتى

تعتبر من الشواهد القليلة الباقية على الوجود الإسلامي العريق في بولندا. ورغم كل هذا لا يزال مسلمو بولندا مخلصين لدينهم ومعتزين به ويتحسرون على نسيان العالم الإسلامي لهم.

بولندا والإسلام

كان البولنديـون على صلـة بالشـرق منـذ قديـم الزمـان . وقـد توثقت هذه العلاقات خلال القرون الوسطى . فذهــب الرحالـة والسفراء البولنديون بأعداد كبيرة الى بلدان الشرق. ومن هؤلاء بينيديكتوس بولونـوس Benedictus Polonus الـذى وصـل الى منغوليا فى القرن الثالث عشر الميلادي.

وكان ملـوك بولنـدا يبحثـون عـن الحلفـاء والأصدقـاء فـى الشرق، بينما كان أفراد المجتمع البولندي يتصلون بالشـرق بحثـا عـن العلـم والفنـون الجميلــة . وكــان أهــم شـعوب الشــرق الإسـلامي المعروفـة لـدى البولنديـين هـم الأتـراك بحكـم قربهـم الجغرافي من بلادهم.

وقــد تــأثر البولنديـون بالفلســفة و النظريــات الشـــرقية واكتسبوا سماحتهم منها . و قد وصلهم بعضها مباشرة والبعض الآخر عن طريق اليونان وروما(١).

وتعرضت أوربا ، بما فيها بولندا ، لغزو المنغول – التتــار – سنة ١٢٤١م. وقـام المنغــول بـإنزال هزيمـة منكـرة بــالجيش الألمـاني– البولنـدي فـى ٩ أبريـل ١٢٤١ فـى معركــة ليغنيـتز

Liegnitz . ولكن لم تدم السيطرة والتمدد المنغولية نتيجة وفاة أمير المنغول "الخان الأعظم" أوغيداى Ogedei فى ديسمبر من نفس السنة ، فتراجعت الجحافل المنغولية إلى قواعدها فى منطقة أدنى الفولغا Lower Volga خلال شتاء ١٢٤٢ – ١٢٤٣ بسبب خلافات حادة نشبت حول خلافة الأمير المتوفي. ثم جاءت هزيمة عين جالوت على أيدى مماليك مصر فى ٣ سبتمبر ١٢٦٠ لتقضى على هيبة المنغول للأبد.

واتحدت بولندا (الكاثوليكية) و ليثوانيا (الأرثوذكسية) سنة ١٣٨٦م بقيادة الملك ولاديسلاف الثانى Wladislaw II ، أول ملوك أسرة ياغيلّو Jagiello ، وذلك عند ما تزوج ملكة ليثوانيا يادفيغا Jadwiga .

وألقى البولنديون الهزيمة ببروسيا سنة ١٤١٠م فى معركة تاننبرغ Tannenberg تبعتها معاهدة السلام فى تورون Torun سنة ١٤٦٦ تنازلت بروسيا بمقتضاها عن أملاكها فى بوميريليا Pomerelia ودانزيغ Danzig [غدانسك الآن] وجزءا من منطقة "أوردنسلاند" .

و"بولندا" ، كما نعرفها اليوم ، لم تظهر إلا بعد اتحاد دبلن سنة ١٥٦٩. وكانت هذه المنطقة قبلها عبارة عن دويلات

وإمارات... بدأ ميسكو الأول Miesko I ، وتابعه ابنه بوليسلاف تشروبرى Boleslav Chrobry ، توحيد القبائل السلافية فى إطار إمبراطورية كبيرة وخاض لذلك حروبا طويلة. وسرعان ما اكتسبت بولندا صفة تعددية الأجناس نتيجة فتوحاتها وتوسعها على حساب جاراتها .

وكان لمختلف الأجناس والأقوام العائشة فى كنف بولندا في تلك الأيام دينها الخاص بها .. فكان البولنديون الأصلاء يدينون بالكاثوليكية، والروثينيون بالأرثوذكسية، واليهود باليهودية، والتتر بالإسلام، والأرمن بالمذهب الوحديطبيعي، والألمان باللوثرية، وهكذا ... وكانت كل هذه الأجناس والأقوام تعيش بالتعايش السلمي محافظة على أسلوب حياتها وثقافتها ودينها. وقد عرفت بولندا بفتح أبوابها للشعوب والأجناس المضطهدة ، حتى أعتبر الترحيب بالأجانب المضطهدين الفارين بدينهم جزءا من سمات الشخصية البولندية(٢).

ودخلت بولندا حظيرة الكاثوليكية سنة ٩٦٦م ، ووضعت كنيستها تحت حماية بابا روما وذلك تهربا من السيطرة الفرنكية. ودخلت ليثوانيا الوثنية حظيرة الكنيسة الأرثوذكسية

سنة ١٣٨٧م. وفى فترة لاحقة حاربت الدولة البولندية - المؤمنة بالكاثوليكية - المذهبَ البروتستانتي وحدّت من نشاطه وكنائسه داخل حدودها.

بداية اتصال المسلمين ببولندا

بدأ اتصال المسلمين ببولندا فى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي حين وفدت عليها جماعات تترية عبر سهول روسيا الوسطى واستقرت بها . وكانت حدود بولندا القديمة تتأخم حدود خانية القرم الإسلامية وحدود الدولة الإسلامية العثمانية فى البلقان. فكانت بولندا ممرا تجاريا بين البحر الأسود وشمال أوربا .

ودخل الإسلام بولندا عندما هاجم التتر هذه المنطقة فى هذا القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) . وهكذا خضعت المملكة البولندية ، المتكونة آنذاك من لاتفيا وليثوانيا وأجزاء من يوكرين، لسيادة "القبيلة الذهبية" – أعرق القبائل التترية و أرقاها – التى حكمت روسيا و شرق أوربا خلال ١٢٢٧ – ١٥٠٥. وكانت بولندا تدفع خراجا سنويا لخان [أمير] "القبيلة الذهبية" . وعقدت معاهدة سنة ١٤٣٢ بين بولندا والخان التتري (أحمد) أمير منطقة كيبتشاك Kepchak الواقعة شمال بحير قزوين . ونصت المعاهدة على أنه – ردا على

الأموال التى تسلمها الأمير التتري بالفعل - سيقوم بتزويد بولندا عند الحاجة بجنود وفرسان وأن المسلمين المستوطنين ببولندا يتمتعون بحقوق ومزايا خاصة(٣).

وكانت هذه المعاهدة عاملا هاما فى دفع الجنود المسلمين الى التوطن والاستمرار ببولندا. وكان هؤلاء مطلوبين فى بولندا نتيجة مهاراتهم العسكرية واستبسالهم فى ميادين القتال.

وكان معظم هؤلاء الجنود يعيشون حول فيلنا Vilna بشمال شرق بولندا، حيث حصلوا على إقطاعيات. وأخذ أبناؤهم يتاجرون فى الجلود و يدربون الخيول، وعمل بعضهم كمترجمين وكتّابا فى دوائر الدولة ودبلوماسيين . وأنشئت فى الجيش البولندي وحدة خاصة بالفرسان المسلمين كانت لها شارتها المميزة وشعارها المكون من هلال فوق العقاب البولندي. وقامت هذه الوحدة بدور عظيم فى الدفاع عن حدود بولندا الشرقية ضد الهجمات الروسية وأحرزت نجاحات ملحوظة خلال أعوام ١٥٠٨-١٥١١م(٤).

وكان المسلمون التتر يقومون بدور الوسيط بين الملوك البولنديين من جهة وبين الملوك العثمانيين وحكام القرم من جهة أخرى (٥) .

وقفت بولندا فى وجه محاولات آل عثمان لمد سلطانهم غربا فى أوربا . وكان حصار فيينا (١٦٨٣م) هو ذروة هذه المحاولات، وهو يعتبر بحق من أيام التاريخ الحاسمة، فلو نجح آل عثمان لكان لأوربا تاريخ آخر اليوم.

وأدى حصار فيينا إلى قيام تحالف أوربي سعى إليه الملك البولندي جون الثالث سوبيسكي John III Sobieski (١٦٧٤-١٦٩٦).

وكان الحصار قد بدأ فى يوليو ١٦٨٣. وتمكنت حامية المدينة من الصمود طويلا أمام الحصار التركي ، الأمر الذى مكن الجيشين البولندي والألماني من نجدة المدينة وإلحاق هزيمة بالجيش التركي فى معركة وِيْنَرْوالد Wienerwald فى ١٢ سبتمبر ١٦٨٣. وشهد هذا الانتصار صعود أسهم إمبراطورية هابسبورغ، رافقه هبوط وتقلص الإمبراطورية العثمانية.

و لم يكد يمضى قرن على هذا الانتصار أن واجهت بولندا - وحيدةً - أطماع الدول الأوربية المحيطة بها التى أرادت التوسع على حسابها.

توسع الجيران
على حساب بولندا

تعرضت بولندا لأول تقسيم سنة ١٧٧٢ حيث اقتطعت روسيا جزءا من أراضيها ، وضمت [أو "استعادت"] بروسيا منطقة بوميرانيا بإستثناء دانزيغ (غدانسك)، كما استولت النمسا على الأراضى الواقعة شمال المجر بما فيها لامبيرغ Lamberg .

ثم تعرضت بولندا للتقسيم الثانى سنة ١٧٩٣ حين استولت روسيا على كل أراضى شرق بولندا التى كان اليوكرينيون والروسيون البيض يسكنونها .. كما استولت بروسيا على دانزيغ و ثورن Thorn وبوزين Posen ودفعت بحدودها شرقا إلى أن لامست وارسو .

ثم تعرضت بولندا للتقسيم الثالث سنة ١٧٩٥ حين استولت بروسيا على وارسو نفسها ، واستولت النمسا على غرب غاليسيا بما فيها كراكو ، بينما استولت روسيا على ما تبقى من الأراضى البولندية بما فيها ليثوانيا.

ولم يقف مع بولندا أحد فى هذه المحنة سوى الدولة العلية والفاتيكان . والبولنديون لا ينسون هذا الموقف العثماني رغم دور بولندا خلال حصار فيينا (٥/١) .

وكان الملك البولندي ، بتأييد صغار النبلاء ، قد سن دستورا جديدا للبلاد سنة ١٧٩١ لتقوية الوحدة البولندية ولمقاومة التوسع الروسي. فقامت الإمبراطورة الروسية كاثرين الثانية بغزو بولندا بدعوة كبار النبلاء الذين لم يرقهم هذا الدستور– فألغت الدستور وتقاسمت معظم أجزاء البلاد مع بروسيا.

وقام صغار النبلاء بقيادة كوسيوزكو Kosciuszko لمقاومة الاحتلال الروسي و البروسي ولدعم ما تبقى من الدولة البولندية . فاجتمعت روسيا وبروسيا على القضاء حتى على ما تبقى من "بولندا" ، وبالتالى اختفت "بولندا" من خريطة العالم سنة ١٧٩٤.

ومن جهة أخرى ، كانت "القبيلة الذهبية"قد أخذت تضعف نتيجة الحروب الأهلية بين بطونها، وهجمات تيمور لنك المنغولي فى أواخر القرن الرابع عشر، وحروبها مع إمارة موسكو. وعندما بدت أعراض الضعف فى القرن الخامس عشر

أخذ رجال "القبيلة الذهبية" يهاجرون الى الدول الأوربية المتأخمة بحثا عن الأمن والسلامة والاستقرار مثل يوكرين والقرم والمجر وبولندا وليثوانيا .

ثم استعان البولنديون بالتتار المسلمين – المعروفين بشدتهم وإخلاصهم – لصد الهجمات الألمانية على بولندا . وهكذا دخل عدد كبير من المسلمين الجيشَ البولندي بعد أن اشترطوا أن تكون لهم حرية إقامة الشعائر الدينية. وهكذا نشأت أول جالية إسلامية مقيمة فى بولندا.

وكان البعض من هؤلاء المسلمين قد هاجر طلبا للجوء السياسي أو كمرتزقة أو أسرى حرب حين كانت الحروب تشتعل بين دوقية ليثوانيا الكبرى وجاراتها .

وكانت دوقية ليثوانيا قد اتحدت مع المملكة البولندية عام ١٥٦٩، مما أدى الى المزيد من هجرة التتار المسلمين الى الأراضى البولندية . وامتزج هؤلاء مع البولنديين الأصليين واكتسبوا منهم عاداتهم وطرق معيشتهم حتى أصبح من الصعب على مر الزمن التفريق بين المسلم المهاجر وبين سكان البلاد الأصليين، وقد حصل قسم كبير منهم على نفس

امتيازات سكان البلاد، كما اعتنق قسم منهم الدين المسيحي ، تحت الإكراه عموما.

ويعود أول اتصال لبولندا بالمسلمين الى عهد الدوق غيديمين Gedymin (حكم خلال سنوات ١٣١٦-١٣٤١) [٦] الذى كان قد وسّع حدود دولته الى أن لامست سهول البحر الأسود التى كانت تقطنها "القبيلة الذهبية" التترية التى كانت كلها قد أسلمت حتى ذلك الوقت .

هجرة التتر الى بولندا

وكان أول المهاجرين التتر الى بولندا رجال من عائلات قوية تركوا أوطانهم نتيجة خلافات أسرية أو حروب أهلية. وجاءت معهم عموما أسرهم وخدمهم . وجاء أفراد من "القبيلة الذهبية" كسفراء أو رهائن أو أسرى حرب. وأوائل التتر الذين استوطنوا ببولندا شاركوا مع الجيش البولندي فى حروبه. وأنعم عليهم الحكام البولنديون بإقطاعيات . يشير المؤرخ لوكاز وادينغ Lukaz Wadding فيما سجله فى حولياته من أحداث سنة ١٣٢١م أن هناك "سكيثيون" Skythians فى بلاد ليثوانيا الذين جاءوا من بلاد "خان أو آخر" وأنهم يستخدمون "لغة آسيوية" فى عباداتهم (٧).

وأسر "دوق"(أمير) ليثوانيا وِيتولد Witold عددا كبيرا من تتر "نوغاى" خلال حملته سنة ١٣٩٧م ضد أميرهم تيمور لنك الذى كان قد سلب الملك من الخان (تَخْتامِشْ) حليف وِيتولد . وأرسل ويتولد بعض هؤلاء الأسرى الى أخيه الملك البولندي فلاديسلاف ياغيلو Vladislav Jagiello فى بولندا، وتم تنصيرهم فورا حسبما سجله المؤرخ البولندي للوغوز Llugosz(٨).

وقام ويتولد بتوطين مجموعة أخرى من هؤلاء الأسرى في منطقتي (تاراكاي) Tarakai وفيلنا Vilna، وتركهم بكامل حريتهم الدينية والحقوق المدنية. وبالتالي أصبح هؤلاء التتر المسلمون من رعاياه الأوفياء يهبون لنصرته كلما دعت الحاجة الى ذلك . وهذه المعاملة الطيبة دفعت آخرين من التتر للهجرة الى بولندا(٩) .

وفي سنة ١٣٨٦م نشر ياغيلو المسيحية في كل أنحاء مملكته و أعطى للتتر من رعاياه خيار التحول الى النصرانية أو العودة الى بلادهم عبر الفولغا . وفضلت الغالبية التنصر بدلا من العودة الى بلادها التي كانت تعمها الحروب الأهلية . ومما سهل تنصرهم أن كثيرين منهم كانوا أبناء أمهات بولندية مسيحية . وهكذا فقد تتر الموجة الأولى (١٣١٦-١٣٨٦م) هوياتهم وذابوا في السكان المحليين (١٠).

وحين احتاجت بولندا الى حلفاء سنة ١٤١٠م (عندما تعرضت لهجوم الأمراء التوتونيين - أي الألمان - في طريق عودتهم من فلسطين في أعقاب هزيمة منكرة خلال الحروب الصليبية)(١١). و لم يكن التيوتونيون يعترفون بالبولنديين والليثوانيين والتشيك والروتينيين كمسيحيين "حقيقيين".

واستنجد الدوق وِيتولد بحليفه الخان التتري الذى أرسل من فوره نحو ٣٠-٤٠ ألفا من رجاله الأشداء بقيادة الأمير جلال الدين بن الخان تختاميش. وشارك هؤلاء فى معركة غورونوالد Grunwald وساعدوا البولنديين على كسر قوة الأمراء التيوتونيين. وعاد الأمير جلال الدين ورجاله، من الأمراء والبكوات وغيرهم من علية القوم ، الى بلادهم بعد الحرب محمّلين بالهدايا ، إلا أن بعض فرسانه وجنوده، وخصوصا من رجال داغستان والفولغا، آثروا البقاء فى بولندا حيث أعطى لهم ويتولد إقطاعيات فى منطقة نيمان Neman وفى ضواحى غرودنو Grodno وفيلنا بشرط أن يخدموه عسكريا كلما دعت اليه الحاجة (١٢) (وهو شرط أساسي فى النظام الإقطاعى الأوربي) .

وتزوج مسلمو هذه الشريحة ببنات النبلاء البولنديين والليثوانيين، وأعطيت لهم شارات مميزة على غرار ما كان يعطى للأسر الإقطاعية الكبيرة فى أوربا .

وبعض الألقاب البولندية الشائعة إلى الآن ترمز الى أولئك المسلمين الذين توطنوا ببولندا قبل قرون، مثل طوخان برانوفسكي Tuhan-Baranowski وكريزنسكى Kryczynski

وكونوباكى Konopacki وموشلينكى Muchlinski وأحمتوفيتش Ahamatovitch (١٣).

وبمجئ هؤلاء أصبح للمسلمين فى بولندا ثلاث طبقات: أولاها هى الطبقة الأرستقراطية التى جاءت مع الأمير جلال الدين وآثرت البقاء بعد انتهاء المعارك. وكان هؤلاء يعتبرون أنفسهم من الأتراك السلاجقة ويحتقرون التتر الآخرين وخصوصا المنتمين الى القبائل المستوطنة حول البحر الأسود .

وتمثلت الطبقة الثانية فى الجنود العاديين من شرق الفولغا الذين استوطنوا بليثوانيا سنة ١٤١٠م . وكان هؤلاء أيضا يتمتعون بإقطاعيات وإن لم تكن على نفس حجم إقطاعيات الأمراء الجدد المرافقين للأمير جلال الدين الذين تخلفوا بعد انتهاء المعارك .

أما الطبقة الثالثة فكانت تتمثل فى أسرى الحرب من تتر (نوغاي) الذين أسكنهم ويتولد على ضفاف نهر فاكا Vaka سنة ١٣٩٧م . وهؤلاء كانوا يختلفون بعض الشئ عن الآخرين فى مظهرهم و ملبسهم و لغتهم وحتى فى مهنهم ، فهم لم يكونوا يتمتعون بإقطاعيات بل كانوا يعملون فى مختلف المهن والحرف.

وقد ذابت الفروق بين هذه الطبقات على مر الزمن لدرجة أنه لا يوجد اليوم شئ يميز بعضهم عن بعض ، إلا أن هؤلاء لكثرة عددهم حافظوا على بعض مميزاتهم كتتر ومسلمين (١٤).

وظل عدد التتر فى بولندا يزداد فى القرن الخامس عشر نتيجة استمرار الحروب الأهلية بين قبائلهم ، الأمر الذى كان يقذف بمهاجرين جدد على وجه الدوام الى خارج أوطانهم . وانهارت إمبراطورية "القبيلة الذهبية" وظهرت خانيات (إمارات) مستقلة فى قازان وأستراخان والقرم فى عهد الملك البولندي كازيميرز ياغيلونزيك Kazimierz Jagiellonczyk فلجأ الى مملكته عدد كبير من التتر الهاربين مما وراء الفولغا . وكان من هؤلاء الأمير شيدنات Shidnat الذى جاء بكل أسرته ثم أصبح فى وقت لاحق آخر أمراء كومان Cuman (١٥).

وهكذا حين توفى أزيل غيراى ، خان القرم ، وثارت مشكلة الخلافة بين أبنائه الستة، لجأ كثيرون من تتر القرم الى بولندا ، وعلى رأسهم إثنان من أبناء أزيل غيراى (نيورا دولت) و(حجر) اللذان لجآ الى بولندا هربا من معاملة أخيهما الظالم مينغلى غيراى (١٦).

وأمكن للمسلمين الهجرة الى بولندا والتوطن بها نتيجة التسامح الذى عهد به حكم عائلة ياغيلون Jagiellons ، وخصوصا فى عهد زيغمونت أغسطس Zygmunt August واتحاد وارسو لسنة ١٥٧٣ ثم الامتيازات التى منحها ستيفان باتورى Stefan Batory وولاديسلاف الرابع Wladyslaw IV و امتيازات سنة ١٦٧٧ التى أقرت للنبلاء المسلمين بمركز مماثل للنبلاء البولنديين(١٧).

والمسلمون الذين استوطنوا بالدولة البولندية الليتوانية عرفوا بإسم عام – هو "التتار" – وليس نسبة الى المواطن التى نزحوا منها . ومؤلف **رسالة تتار ليه** (كتبت سنة ١٥٥٨م) والكاتب إبراهيم بكزوى Peczewi (١٦٢٥م) يتحدثان عن "التتر" و"المسلمين" فى بولندا وليس عن الأصول الجغرافية للمهاجرين المسلمين. والمسلمون – أو التتر – الذين استوطنوا ببولندا فعلوا ذلك عموما نتيجة صلاتهم بعائلة "ياغيلون" المالكة التى لجأوا إليها. ولذلك عرفوا منذ البداية بـ "تتر الغراند دوق" أو "تتر جلالة الملك" (١٨).

وجاءت موجات جديدة من التتر فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر . وكان لها تأثير جيد على قدامى التتر

المستوطنين إذ أحيت صلاتهم بمجتمعاتهم القديمة وتقاليدهم. وكان المستوطنون أحيانا يوطدون صلاتهم بمجتمعاتهم القديمة بالمصاهرة. و بمرور الزمن نسى هؤلاء لغتهم التترية (التركية) نتيجة الزيجات المختلطة والعمل فى الجيش والسكن فى مجموعات صغيرة موزعة على مناطق متباعدة.

وكان فى هذه الجاليات علماء مسلمون يجيدون اللغتين العربية والتركية القديمة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر . وقام بعض هؤلاء بترجمة معانى القرآن الكريم والأدعية الإسلامية الى اللغة البيلوروسية ثم الى البولندية وذلك لتقريب معانيها للأجيال الجديدة من المسلمين العائشين فى مجتمعات غربية استوعبتهم وأذابتهم لكونهم فى أعداد صغيرة. وهكذا ذابت حتى ألقابهم فى البولندية مع مجئ منتصف القرن الرابع عشر وإن كانت بعض الألقاب العائلية مثل "كيركور" Kirkor وكورساك Korsak تشير الى أصولها الشرقية (١٩).

وموجة الهجرة التترية التى تركت أثرها الى اليوم جاءت فى عهد الغراند دوق وِيتولد ، وخصوصا خلال سنوات ١٣٩٧ و١٤٠٩-١٤١١ . وبدأت هذه المرة بمجئ الخان تختاميش (من أخلاف جنكيز خان) الذى هزمه تيمور لنك سنة

١٣٩٦-١٣٩٧م . وعاش تختاميش مع أسرته وحاشيته فى قصر بمدينة ليدا Lida . وجاء عدد كبير من التتر الى بولندا خلال هذه الفترة نتيجة الصراعات الداخلية فى "القبيلة الذهبية"، والتى أضعفتها وأنهكتها كثيرا. وقام الدوق بإدخال هؤلاء المهاجرين فى خدمته وبلاطه وأسبغ عليهم إقطاعيات وزوّجهم ببولنديات رغم اعتراض رجال الكنيسة(٢٠) .

وسمح الحكام البولنديون للمسلمين ببناء المساجد منذ أول مجيئهم للبلاد. وكان الملك أو الدوق يصدر ترخيصا بذلك بشرط أن يوافق أسقف فيلنا الكاثوليكي الذى كانت غالبية التتر تسكن بدائرته. وكان سلاطين آل عثمان يساعدون على بناء المساجد ببولندا . وتوجد رسالة من السلطان مراد الثالث الى الملك زيغمونت الثالث سنة ١٥٩١م يشفع بالسماح لبناء مسجد للتتر فى منطقة ليثوانيا (٢١) .

وكان على رأس كل دائرة من الدوائر التى أقام بها المسلمون ببولندا رجل دين إسلامي يسمى "مُلا" يختاره أهل الدائرة ممن يعرف أمور الدين وخصوصا لوكان يعرف شيئا من العربية أوكان يحمل لقب "حاج" . وكان غالبية "الملا" أئمة مساجد إلا أن البعض منهم كان يوجد فى أمكنة لا توجد بها

مساجد، ويبدو أنهم كانوا أئمة ببيوت تتخذ كمساجد أوكانوا يعلّمون أبناء المنطقة.

وكان الملا يقوم بعدة مهام فى وقت واحد، فهو رجل دين والقاضى الشرعي لأهل المنطقة . وكان ، باعتباره رجل دين، هو إمام المسجد وخطيبه ويقوم بأداء شتى الشعائر الدينية ، كما كان قاضى الجماعة يفصل فى نزاعاتهم الأسرية والاجتماعية، وكان أيضا مسجِّلا تعهد اليه الدولة سجلات المواليد و الزواج والوفاة(٢٢).

والتتر البولنديون من أهل السنّة يدينون بالمذهب الحنفي على غرار الأتراك . وقد حاول مسلمو بولندا عبر العصور العمل بالتعاليم الإسلامية بقدر استطاعتهم مثل إقامة صلوات الجماعة والاحتفال بالجمعة وإقامة الصوم وأداء الزكاة . وكذلك كانوا يؤدون فريضة الحج كلما سمحت الظروف بذلك. فنجد أنه فى عهد السلطان سليمان القانوني والملك زيغمونت أغسطس ، حين كانت العلاقات جيدة بين تركيا وبولندا ، كان مسلمو بولندا يقومون برحلة الحج عبر أسطنبول. وقد سجلت رسالة تتار ليه حج سنة ١٥٥٨م(٢٣).

وبالإضافة الى هذا ، أصبحت لمسلمى بولندا مزارات وأضرحة كانوا يقصدونها لقراءة الفاتحة والتماس البركة. وكانوا مصابين بالكثير من الخرافات، منها ما جاءوا بها من أوطانهم ومنها ما استعاروه من أهل البلاد الذين استوطنوا بينهم. وكان مسلمو بولندا عبر العصور يوقفون المبانى والأراضي والبساتين لينفق ريعها على ترميم المساجد وعنايتها ولدفع مرتبات الأئمة و المؤذنين .

وقد سمحت الحكومات البولندية المتعاقبة - قبل العهد الشيوعي - للمسلمين بجلب العلماء والأئمة من خارج بولندا مثل القرم وغيرها من بلاد "القبيلة الذهبية" بل وحتى من تركيا والجزيرة العربية. وعلى سبيل المثال ، كان "الملا" بمسجد موندزيتشا Mondzica بمديرية ليدا يسمى (بيخيم بردى) وكان يشار اليه بـ "عرفين" Arvin أى "حديث القدوم من الجزيرة العربية"(٢٤).

وعرف تتر بولندا بانحيازهم للسلام والاعتدال والأمانة وقوة العقل ورجاحته. وقد وصف البروفيسور بينيديكت ديبكوفسكى Benedykt Dybkowski مسلمى بولندا بأنهم

"شعب أمين جدا، يكره الكذب والنفاق" و"أنهم مخلصون ، ومنفتحون، ومواظبون على الصداقة، وكرماء، وأسخياء"(٢٥).

مناطق الاستيطان التتري

المناطق التى استوطن بها التتر فى البداية هى تروكى Troki وفيلنا وأوزميانا Oszmjana وغرودنو Grodno ومينسك.

وهناك اختلاف فى المصادر البولندية حول أعداد المسلمين. فيقول تاريخ ستريكوفسكى *Stryjkowski Chronicle* أن عدد التتر فى عهد الدوق ويتولد بلغ (٤٠) ألفا، بينما يقول المؤلف المجهول لـ رسالة تَتَارْليه إن عدد التتر من الجنسين كان يبلغ (٢٠) ألفا فى منتصف القرن السادس عشر الميلادي . وتقول باحثة بولندية معاصرة أن عدد المسلمين فى أوائل القرن السادس عشر الميلادي بلغ نحو مائة ألف(٢٦). وكان عددهم (٤٠) ألفا فى أوائل القرن السابع عشر، ولكنه انخفض الى (١٠) آلاف فى نهاية ذلك القرن نتيجة موجات من الهجرة الى تركيا والتنصر وسقوط القتلى فى الحروب المستمرة فى عهد جان كازيميريز.

ويقول البروفيسور بوغوسلاف زاغورسكى Boguslaw R. Zagorski رئيس المؤتمر الأعلى للاتحاد الإسلامي Higher Congress of Islamic Alliance فى بولندا: "وصل عدد

المسلمين فى وقت ما الى نصف مليون مسلم، وكان لديهم (٦٠) مسجدا فى أنحاء البلاد، ولكن أعدادهم تضاءلت بسبب الزواج المختلط وتغير حدود بولندا الجغرافية وموجات القهر"[٢٧].

وفى القرن الثامن عشر بلغ عدد المسلمين ببولندا (١٠) آلاف. وجاء فى سجل إحصائي رسمي أن التتر تواجدوا فى (٥٠) مديرية ومنطقة ببولندا موزعين على (٦٧٦) عزبة فى القرن الثامن عشر [٢٨]. وانخفض عددهم فى القرن التاسع عشر. فيقول أحد التقديرات سنة ١٨٥٣ أن عدد المسلمين فى بولندا كان ٥٠٠ر٥ شخصا. وبعد سنوات ذكر تقدير آخر أن عددهم (٤٥٠ر٦) شخصا. إلا أن الإحصاء البولندي الذى جرى سنة ١٨٩٧ ذكر أن عدد المسلمين ١٣ر٨٧٧ شخصا فى أنحاء بولندا[٢٩].

وطبقا لما ذكره سين -- بيكوويتز Sen-Seczkowicz، كان عدد التتر يبلغ ستة آلاف فى بولندا سنة ١٩٣٦ . وكانوا يقطنون بعشرين مديرية فى شمال شرق بولندا فى وئام تام مع البولنديين الآخرين [٣٠].

ولايعرف عـدد المسـلمين ببولنـدا اليـوم علـى وجـه الدقـة، وذلك لأن الإحصائيات الرسمية لا تشير الى ديانات المواطنين إلا أن تقديرات بولندية رسمية قالت بوجود نحو ٢٫٠٠٠-١٫٠٠٨ مسلم فــى البـلاد قبـل نحـو عقـد مـن الزمـان (٣١). بينمـا تقـول مصادر أخرى أن عددهم فى حدود ١٥٫٠٠٠ ألف فـى الفـترة نفسها ، وبالتالى يكـون عددهـم الآن (نتيجـة التوالـد والتكـاثر الطبيعي) فى حدود (٢٠) ألف مسلم(٣٢).

دور المسلمين
فى الدفاع عن بولندا

شارك التتر فى الحروب مشاركة كبيرة الى جانب البولنديين منذ بداية وجودهم ببولندا. وكان لهم دور ملحوظ فى الخدمة العسكرية البولندية من القرن الخامس عشر الى القرن التاسع عشر . وكان دورهم هذا يفوق كثيرا نسبتهم بين السكان وقد دخلت بعض الكلمات التترية، نتيجة هذه المشاركة والاحتكاك، الى لغة العسكر البولندية(٣٣).

وتمكن مسلمو بولندا من تحقيق نوع من الاستقلال الذاتي لأنفسهم بسبب قوتهم العسكرية واحتياج الحكام البولنديين إليهم فى حروبهم المستمرة مع جيرانهم. وساهم هؤلاء المسلمون الأوائل فى توفير الحماية لبلدهم الجديد باستغلال صلاتهم بالعالم الإسلامي. ففى سنة ١٥٧٧ عقد رئيس مسلمى بولندا اتفاقية مع الخلافة العثمانية التى كانت أقوى دولة إسلامية فى العالم آنذاك . ونصت هذه الاتفاقية على أن أى اعتداء على بولندا سيكون اعتداءا على الدولة العثمانية نفسها . وظل الأمر على هذا المنوال حتى سنة ١٨٠٠ حين

بدأ انحطاط الخلافة الإسلامية، ولكن مسلمى بولندا ظلوا على ولائهم للباب العالى . ونجد حتى سنة ١٩٢٣، حين كان مصطفى كمال يدبر لإلغاء الخلافة ، أن وفدا لمسلمى بولندا قابل آخر سلاطين آل عثمان وتباحث معه حول كيفية المحافظة على المصالح الإسلامية فى بولندا.

ومرة أخرى أنقذ هؤلاء المسلمون بولندا سنة ١٦٥٦ فى مواجهة غزو سويدي .. ولم يمض على ذلك شهران أن هاجم بعض البولنديين الناكرين للجميل مستوطنتين إسلاميتين وحرقوا رجال المسلمين واغتصبوا نساءهم وقاموا بتنصير أطفالهم بالإكراه كما دنسوا وحرقوا الكتب الإسلامية التى وجدوها فى هذه البيوت . ونتيجة هذا الجو الجديد والعداء المعلن للكتب الإسلامية اختفت الكتب الأساسية وتضاءل علم الدين بمرور الزمن ووصل الأمر الى أن عدة مستوطنات تترية كانت تتناوب القراءة من نسخة واحدة من القرآن الكريم .

ورغم موقف الدولة العثمانية الموالى دائما لبولندا فى حروبها مع جاراتها ، اشترك ملوك بولندا فى الأحلاف المسيحية ضد الدولة العثمانية. ولعبت بولندا دورا هاما فى دعم الجهود المسيحية -- كما مر – فى عهد الملك جون سوبيسكى

الذى نجح فى رفع الحصار التركي عن مدينة فيينا سنة ١٠٩٤/١٦٨٣ . وكان بعض التتر قد اشترك فى معركة فيينا هذه . وحصلوا بعد الحرب على إقطاعيات جديدة حول مدينتى لوبلين Lublin وبياليستوك . وقريتا بوهونيكى وكروزينيانى المسلمتان فى ضاحية بياليستوك لا يزالان يذكران بتلك الإقطاعيات(٣٤).

فترات ضغط واضطهاد

مرت على مسلمى بولندا فترات ضغط لم يسمح لهم خلالها ببناء المساجد . ومنها الفترة الممتدة من سنة ١٦٠٠ الى سنة ١٦١٥ حيث لم يسمح لهم ببناء المساجد فى مناطق وولهينيا Wolhynia وبودوليا Bodolia وروسيا الحمراء Red Russia.

ويبدو أن التضييق فى هذا الجانب استمر حتى بعد هذه السنوات ، فقد ظهرت قضية بناء المساجد فى الشروط التى قدمها بعض الثائرين التتر المسلمين الى هيتمان سوبيسكى Hetman Sobieski سنة ١٦٧٣ ، إذ جعلوا الإذن ببناء المساجد على أراضيهم الخاصة شرطا للطاعة و السلم (٣٥). ولا يمكن أن يقال إنه كان هناك اضطهاد ديني فى بولندا بالمعنى السائد فى الأندلس بعد سقوطه ، بل الأصح أن يقال إنه كانت هناك ضغوط وقيود على ممارسة الحرية الدينية .

وكان الأئمة المسلمون والوعاظ يأتون لبولندا من القرم ولكن العلاقات أخذت تسوء فى نهاية القرن السادس عشر بين القرم والحكومة البولندية ، وأصبح من الصعب إرسال هؤلاء

الأئمة الى بولندا، إلا أن الحجاج كانوا كالعادة - يذهبون للحجاز عن طريق اسطنبول.

وفى تقرير رفعه أحد هؤلاء الحجاج فى منتصف القرن السادس عشر للوزير الأعظم العثماني ، الذى رفعه بدوره للسلطان سليمان الكبير ، شكا فيه من قلة الوعاظ والأئمة وطلب من السلطان إرسال عدد منهم لبولندا لإيضاح المفاهيم الإسلامية للمسلمين الذين يصعب عليهم حتى إقامة شعائرهم الدينية نظرا لعدم معرفتهم بالعربية .

ونتيجة هذه الظروف والضغوط هاجر بعض المسلمين البولنديين واستوطنوا الجزء التركي من أوكرين ، ومن هناك نظموا عدة هجمات فدائية على أراضى الأمراء البولنديين الإقطاعيين . وأهم هذه الهجمات تعرف فى التاريخ البولندي بـ "تمرد تتر ليبكا" The Mutiny of Lipka Tatars (٣٦).

وسمح لهم دستور سنة ١٧٦٨ بتحسين مساجدهم وتجديدها . ثم جاء دستور سنة ١٧٧٥ فسمح لهم بإقامة المساجد على الأراضى الخاصة والعامة . وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، تعرض المسلمون فى بولندا الى الاضطهاد، إذ كان البولنديون يحاولون إجبارهم على اعتناق الدين

المسيحي. وقد قاوم المسلمون كلهم تقريبا هذه الضغوط بشجاعة . ولكن الأوضاع سرعان ما تحسنت بشكل ضئيل حين انضمت بولندا الى روسيا القيصرية وحاولت الإمبراطورة كاثرين التقرب الى المسلمين .

وكان الجيش الروسي القيصري قد جند عددا كبيرا من المسلمين البولنديين إلا أن هؤلاء انضموا الى الجانب الآخر حين وجدوا أنفسهم يحاربون إخوانهم فى الدين الثائرين فى القفقاز بقيادة الإمام شامل(٣٧).

وفى الوقت نفسه سن البرلمان البولندي سيم (Sejm) قانونا يحرم زواج المسلم من بولندية كاثوليكية ويعتبره جريمة عقابها الإعدام ! ونص القانون كذلك على تحريم تقلد المسلمين مناصب رفيعة فى الدولة (٣٨) . وهكذا تم دفعهم الى مساحة مزنوقة سياسيا واجتماعيا وثقافيا .

وأدى سوء الأوضاع فى النهاية الى أن يهجر قسم من المسلمين البولنديين بلدهم ويستقروا بالدولة العثمانية . وهكذا أصبحت المقاطعة التترية ببولندا ، التى كانت تعج بالتتر المسلمين يوما ما ، قرى متناثرة صغيرة فى مطلع القرن العشرين.

وكانت بولندا قد أضحت مملكة ضعيفة في القرن الثامن عشر . وأخذ جيرانها الأقوياء يتوسعون على حسابها، الأمر الذى أدى فى النهاية الى اقتسامها على أيدى روسيا وبروسيا والنمسا خلال سنوات ١٧٧٢ ، ١٧٩٣ ، ١٧٩٥. وأعيد النظر فى حدود التقسيم هذه سنة ١٨٥١. وكانت هذه الدول الثلاث يجمعها العداء المشترك للكيان البولندي الى الحرب العالمية الأولى(٣٩).

وهكذا اختفت بولندا عن خريطة العالم فى نهاية القرن الثامن عشر (١٧٩٥) حين اقتسمتها روسيا والنمسا وبروسيا فيما بينها، فهاجر كثير من الزعماء البولنديين الوطنيين الى أراضى الدولة العثمانية وبعضهم اعتنق الإسلام . وكان من هؤلاء القائد العسكري العثماني المشهور فى القرن التاسع عشر بإسم (مراد فريق باشا) أو (مراد فاروق باشا)(٤٠) . وكان هذا القائد يسمى قبل إسلامه بالجنرال (جوزيف بيم) Joseph Bem . وكان مراد باشا قد عيِّن جنرالا بالجيش العثماني وكان يتوق إلى تكوين جيش من المسلمين البولنديين لمحاربة الروس فى القفقاز . إلا أن السلطان، نتيجة الضغط الروسي ، أمره بالتوجه الى حلب فى سوريا لقمع تمرد شعبي

هناك . وحين رفض مراد باشا الانصياع لأوامر السلطان أعتقل وحبس بقلعة حلب حيث مات كمدا وهو يردد : "بولندا ، بولندا ، لم أتمكن من تحريرك !"(٤١).

ورغم المعاملة السيئة التى تعرض لها المسلمون فى بولندا فى القرن التاسع عشر نجد مسلمين بولنديين من أمثال بيلَقْ Bielak وسولكيويكز Sulkiewicz وبوكزاكى Buczacki ينضمون الى صفوف مناضلى الحرية البولنديين خلال ثورات ١٨٣١ و١٨٦٣ و١٩٠٥ ضد الاستعمار الروسي واعتقل الروس بعض هؤلاء وأبعدوهم الى معسكرات العمل فى سيبيريا(٤٢).

وخلال الحرب العالمية الأولى حاول كل من قوى المحور والحلفاء كسب ود القوميين البولنديين . وقد استغل الزعيم البولندي القومي المارشال جوزيف بيلسودسكى Pilsudski هذا التأييد ببراعة وتمكن من إظهار بولندا للوجود الى خريطة العالم سنة ١٩١٨. (وقد تولى بيلسودسكي فيما بعد رئاسة الوزارة و رئاسة الدولة لفترات طويلة حتى وفاته سنة ١٩٣٥، وعرف عهده بالدكتاتورية). وهكذا قامت دولة "بولندا" من جديد. واستوعبت هذه الدولة الجديدة الكثير من أراضى روسيا لدرجة أنها أصبحت أكبر دولة فى شرق أوربا (٤٣). وجاء عهد

حكم الكولونيلات بعد وفاة بيلسودسكي واستمر من سنة ١٩٣٥ إلى سنة ١٩٣٩.

وخلال سنوات ١٩٠٨-١٩١٥ كان عالمان من منطقة الفولغا هما إماما المسجد في وارسو. أحدهما المرشد الشريف عبد الحفيظوف Mirsaid-Sharif Gabdul Khafizov الذى كان يعرف بـ "الإمام العسكري" وصبغة الله أحمدوف Sybgatulla Akhmedove الذى كان يعرف بـ "الإمام المدني". وظل عبد الحفيظوف إمام مسجد وارسو الى حين هجرته سنة ١٩٢٦ الى تركيا. وعندها أختير إسفنديار فضلى من التتر - إماما. وكانت هناك علاقة دينية شبه رسمية بين تتر بولندا وتتر القرم ، وذلك لأن قياصرة روسيا كانوا قد جعلوا تتر القرم وبولندا تابعين لمفتى القرم(٤٤).

ولكن الدولة البولندية رأت قطع هذه العلاقة "الدينية" بخارج البلاد -- كما فى حال الكنائس -- ولذلك قطعت علاقة مسلمى بولندا بمفتى القرم سنة ١٩١٩ وعينت مفتيا لبولندا . وكان المفتى البولندي الأول هو الدكتور يعقوب زينكيويكز Jakub Szynkiewicz . وقسمت الدولة البولندية مسلمى البلاد الى ١٩ دائرة ، ٩ منها فى منطقة فيلنا و٩ فى

منطقة نوفوغروديك Novogrodek وإثنتان فى منطقة بياليستوك Bialystok وواحدة فى وارسو العاصمة . وان بكل دائرة من هذه الدوائر مسجد خاص بها . وأنشئت لجنة فى مايو سنة ١٩٢٨ لإنشاء مسجد وارسو(٤٥). وتم بناء هذا المسجد قبيل الحرب العالمية الثانية. واستعان المسلمون البولنديون فى بنائه بتبرعات إخوانهم المسلمين من خارج البلاد . وسمى الشارعان المؤديان الى المسجد بشارعى "مكة" و"المدينة" .

اعتراف رسمي بالإسلام

اعترفت الدولة البولندية بالاتحاد الإسلامي البولندي سنة ١٩٢٥، وأصدرت قانونا فى ٢١ أبريل ١٩٣٦ يضع ضوابط هذا الاتحاد وعلاقته مع الدولة. وقد أصدر هذا الاتحاد قانونه الحالي سنة ١٩٦٩ وأقره مدير مكتب شئون الطوائف الدينية (الحكومي) Office for Denominational Affairs فى ٢٩ يناير ١٩٧١[٤٦]. ومن مهام هذه المنظمة الرسمية إبرام عقود الزواج ودفن الموتى والسهر على الأمور الإدارية الخاصة بالمسلمين.

واعترفت الجمهورية البولندية بالدين الإسلامي رسميا فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ . وكان مقر مفتى بولندا حتى ذلك الوقت بمدينة فيلنا، ولكن الحكومة كانت قد قررت نقل مقره الى وارسو سنة ١٩٣٢. وكانت الدولة البولندية قد أنفقت على شئون المسلمين الدينية مبلغ (٧٠) ألف زلوتى (العملة البولندية) حتى سنة ١٩٣٩[٤٧].

وأنشئ سنة ١٩٣٧ مكتب للدعوة الإسلامية بوارسو برئاسة أياز خان، و حاز على شعبية فى أوساط المثقفين البولنديين . وكان مائتا شخص يشاركون فى أنشطة هذا

المكتب بصورة فعالة . وكان هؤلاء يؤكدون على انتمائهم الى أصول بولندية مسيحية أصيلة - وليست تترية وافدة - ، أى أنهم كانوا مسلمين بولنديين، من غير التتر، ممن اعتنقوا الدين الإسلامي عبر العصور . ولا تزال هذه المجموعة موجودة وهى من أنشط المجموعات الإسلامية فى بولندا(٤٨).

واجتمعت روسيا والمانيا مرة أخرى للتوسع على حساب بولندا قبيل الحرب العالمية الثانية ، فعقدتا المعاهدة النازية - الروسية فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ ، التى قضت بتقاسم بولندا فيما بينهما بدلا من الدفاع عنها بالتعاون مع بريطانيا وفرنسا. وحصلت المانيا بمقتضى هذه المعاهدة على ليثوانيا وغرب بولندا بينما استولت روسيا على لاتفيا وإستونيا وفنلندا وبيسرابيا وشرق بولندا. ثم عقدت الدولتان معاهدة سرية أخرى فى ٢٨ سبتمبر ١٩٣٩ تنازلت المانيا بمقتضاها عن ليثوانيا لروسيا بينما تم توسيع النصيب الألماني من بولندا (سقطت هاتان المعاهدتان عندما غزت المانيا روسيا فى يونيو ١٩٤١). وكان هذا هو التقسيم الخامس الذى تعرضت له بولندا فى تاريخها . وأدت المقاومة البولندية لمطامع هتلر وستالين إلى تعجيل نشوب الحرب العالمية الثانية.

وتمكنت روسيا من احتلال بولندا كاملة سنة ١٩٤٤.
وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فرضت روسيا على بولندا خط أودر - نيس Oder-Neisse كالخط الفاصل بين حدودهما(٤٩) ، وبذلك استولت روسيا على أجزاء شاسعة من بولندا. وفى مؤتمر يالطا سنة ١٩٤٥ تم تقسيم شرق بروسيا بين بولندا وروسيا.

وتكبد التتر البولنديون خسائر فادحة فى الحرب العالمية الثانية . وآثر ستة آلاف منهم البقاء فى ذلك الجزء من بولندا الذى استولت عليه روسيا ، بينما فضل آخرون الهجرة الى الولايات المتحدة ، كما مات آخرون فى معسكرات الاعتقال النازية ببولندا(٥٠).

عصر ذهبي لمسلمى بولندا

حين نالت بولندا استقلالها سنة ١٩١٨، نتيجة الحرب العالمية الأولى، لعب المسلمون دورهم كاملا للحصول على الاستقلال ثم لحمايته ورقيه. وفى سنة ١٩٢١ شارك جنود مسلمون فى المقاومة البولندية الباسلة ضد الغزو البلشفي لبلادهم وأفشلوه . ونتيجة دورهم هذا تم الاعتراف بحقوقهم الدينية وحمايتها فى الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين الى سنة ١٩٣٩. وصدرت مجلات إسلامية مثل المسلم البولندى *Polski Muzulmanin* والسجل الإسلامي *Muslim Chronicle* والمجلة الإسلامية *Muslim Review* . وتوجه المسلمون البولنديون الى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج خلال هذه الفترة، كما شارك مفتى بولندا فى مؤتمرات إسلامية عالمية بالقدس والقاهرة (٥١).

وكانت السنوات بين الحربين العالميتين (١٩١٨-١٩٣٩)، حين ازدهرت بولندا كدولة مستقلة ، بمثابة عصر ذهبي للمسلمين البولنديين . وأخذ مسلمو بولندا يهتمون بتاريخهم ويعملون على تنشيط الجالية الإسلامية وبعثوا بالطلاب الى جامعة الأزهر بالقاهرة ليعودوا علماء.

وكانت هناك ٣٦ جالية إسلامية فى أرجاء بولندا الحرة . وهذه الفترة الذهبية فى تاريخ مسلمى بولندا مكنتهم من أن يستقبلوا لاجئين مسلمين من روسيا ويقدموا لهم المأوى. وكانوا يتمتعون بكل الحقوق حتى داخل الجيش البولندي، فكان لهم أئمتهم فى الجيش يقيمون لهم الصلوات الخمس وصلاة الجمعة. وكانت كتيبتهم تتمتع براية خاصة تحمل علامة الهلال الفضي فوق العقاب الأبيض الذى كان علم بولندا آنذاك(٥٢).

وشهدت هذه السنوات نهضة ثقافية ملحوظة بين مسلمى التتر، فنشرت طبعة جديدة من القرآن الكريم ببولندا خلال هذه الفترة ، كما حاول المسلمون البولنديون العمل كجسر ثقافي وفكري بين بلادهم وتركيا خاصة والشرق عامة . وأنشأوا مكتبات وأرشيفات ومتاحف . ولا يزال أحد هذه المتاحف – ويدعى "المتحف التترى" Tatar Museum – موجودا بمدينة فيلنا، وهو يحوى تحفا فنية ومخطوطات تمثل الوجود التتري فى بولندا(٥٣). ووصل عدد القرى الإسلامية الخالصة خلال هذه الفترة ٣٦ قرية.

وخلال هذه السنوات بالذات كان ستالين يخضع مسلمى الاتحاد السوفييتي للعبودية و الإذلال وكان ينفذ تصفيات جسدية جماعية لم يشهد التاريخ مثيلا لها فى أى مكان آخر من العالم . وأصبحت بولندا خلال هذه السنوات ملجأ آمنا للمسلمين الفارين من الغولاغ الستاليني الرهيب.

المسلمون بين السندان النازي والمطرقة الشيوعية

انتهى هذا كله بين ليلة و ضحاها سنة ١٩٣٩ حين عقد ستالين وهتلر اتفاقيتهما المشئومة – التى أشرنا اليها آنفا – لاقتسام بولندا فيما بينهما ، فاقتحمتها الجيوش الروسية والألمانية فى سبتمبر ١٩٣٩. و لم يتم لهاتين القوتين اكتساح بولندا بدون مقاومة باسلة ، وخصوصا على أيدى الفرسان المسلمين بقيادة الزعيم الفذ علي يليازيويتش Ali Jelijaszewicz .

وكان هناك نحو ألف مسلم شهيد بين مئات الألوف من الشهداء البولنديين الذين سقطوا وهم يقاومون الغزوين الروسي والألماني . وكان القائد علي يليازيويتش من هؤلاء الشهداء(٥٤).

وقد حارب مسلمو بولندا جنبا الى جانب مواطنيهم على جبهتى غدينيا Gdynia ووارسو خلال الحرب العالمية الثانية كما حاربوا مع الفيلق البولندي الثانى بإيطاليا ، وكذلك شاركوا فى حركة المقاومة الشعبية الوطنية (٥٥) .

وكان هناك عدد كبير من "تتر" بولندا أى المسلمين – فى الجيش البولندي الذى حارب الألمان ولقى معظمهم حتفهم

فى تلك المعارك . ثم جاء ستالين فنفذ المجازر فى حق مسلمى بولندا بتهمة التعاون مع الألمان ، تماما كما فعل ستالين مع مسلمى القرم وغيرهم من الأقليات داخل الاتحاد السوفييتي. ومن بقى من المسلمين البولنديين ذاق الأمرين، فقد طُردوا من مدنهم وقراهم وصودرت ممتلكاتهم عقابا لهم على عدم ترحيبهم بالنظام الشيوعي.

وبلغت ذروة انتقام ستالين من مسلمى بولندا سنة ١٩٤٤. ففى يوم واحد – هو يوم عيد الفطر سنة ١٩٤٤ – حرقت القوات السوفييتية ١٥ مسجدا بمن فيها من المصلين فى بلدتى بيانستيتش Bijanstic وبوفونكى Bovonki . وكانت ذريعته لارتكاب هذه المجازر اتهامه للمسلمين بالتعاون مع المانيا النازية، وهذا رغم أن عددا كبيرا من المسلمين سقطوا شهداء وهم يحاربون الألمان الغزاة.

والمطرقة الثنائية – النازية والشيوعية الستالينية – مسئولة عن الانخفاض المفاجئ فى أعداد مسلمى بولندا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، بينما تضاعفت أعداد سكان بولندا فى الفترة نفسها. فكان عدد مسلمى بولندا يقدر بـ (١٠٠ر٠٠٠)

و(١٥٠٠٠٠) قبل الحرب العالمية الثانية، أما اليوم فلا يتجاوز عددهم عن ٢٠٠٠٠ نسمة على أكثر تقدير .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، و نتيجة سلخ أجزاء من بولندا، لم يبق مسلمون بأعداد كبيرة فى أية منطقة من بولندا إلا فى بياليستوك . وفى السنوات التالية جاءت أسر تترية من المناطق التى سلختها روسيا وتوطنت فى مناطق عديدة منها غوردو وايلكوبولسكى Gordow Wielkopolski ، وغدانسك وورو كلاف Wroclaw وأولزتين Olsztyn وإيلبلاغ Elblag وسكزكين Szeczecin ولودز Lodz ووارسو وغيرها من المدن الصغيرة .

المسلمون
فى ظل الحكم الشيوعي

لم تنته معاناة مسلمى بولندا بنهاية الحرب العالمية الثانية . فقد رحلت قوات الاحتلال الروسية ولكنها سلمت زمام الحكم لعملائها الدمى المحليين المتمثلين فى "الحزب الشيوعي البولندي" الذى أوجدته قوات الاحتلال الروسية كدأبها فى كل البلاد التى احتلتها خلال الحرب العالمية الثانية . وهنا انتهت عمليات الإبادة الجماعية ، ولكن ظل المسلمون ، وكذلك البولنديون الكاثوليك – الذين هم غالبية السكان – يعانون من سياسات الدولة المعادية للأديان.. ولكن فاقت محنة المسلمين كلَّ الفئات الدينية الأخرى فى البلاد لعدم وجود من يحميهم داخل البلاد وخارجها.

وتعاقبت على بولندا عدة حكومات ائتلافية ، فى ظل الاحتلال الروسي ، هيمن عليها الشيوعيون. إلا أن الوضع العالمي تغيرجذريا بعد انفراد الولايات المتحدة بالقوة النووية (فجرت أول قنبلة نووية فى ١٦ يوليو ١٩٤٥)، وفشل مؤتمر بوتسدام فى يوليو – أغسطس ١٩٤٥، فقرر ستالين إحكام

السيطرة الروسية على شرق أوربا التى كانت القوات الروسية تحتلها بالفعل فأقام بها أنظمة موالية لروسيا. وهكذا أنشئت حكومات شيوعية بحتة فى المجر وبولندا وبلغاريا ورومانيا سنة ١٩٤٧ ثم فى تشيكوسكوفاكيا فى السنة التالية. ولم تنج من السيطرة الروسية الكاملة إلا يوغوسلافيا.

وأخذت الولايات المتحدة والدول السائرة فى فلكها تصعِّد الحرب الباردة ، فأنشأت الحلف الأطلنطي (ناتو) سنة ١٩٤٩ ثم حلف جنوب شرق آسيا (سيتو) سنة ١٩٥٤، تلاه حلف بغداد سنة ١٩٥٥، ثم الحلف المركزي سنة ١٩٥٩، بالإضافة إلى أحلاف ثنائية عقدتها الولايات المتحدة مع أكثر من (٤٠) دولة عبر العالم خلال العقد التالى لانتهاء الحرب العالمية الثانية! وواجه هذا التصعيد إجراء مماثل من الجانب الروسي فأنشئ حلف وارسو سنة ١٩٥٥ لدول الكتلة الشرقية الخاضعة لموسكو.

وقام النظام الشيوعي البولندي ، باستغلال أجواء الحرب الباردة هذه ، بحل كل أحزاب المعارضة السياسية فى نوفمبر ١٩٤٧. وسرعان ما قرر الروس إنشاء حكومة شيوعية بحتة فى

ديسمبر ١٩٤٨ اشترك فيها ضابط روسي هو المارشال روكوسوفسكى Rokossovsky كوزير الحرب !

وسرعان ما ظهر التذمر الشعبي ضد الاستغلال الروسي وغلاء المعيشة والكبت السياسي فى كل أنحاء أوربا الشرقية ، وخصوصا ببولندا والمجر. واندلعت الاضطرابات فى بوزنان فى نهاية يونيو ١٩٥٦ ، قتل خلالها ٥٣ عاملا برصاص السلطة الشيوعية. وهنا جاء الروس بالشيوعي "المعتدل" غومولكا لرئاسة الحكومة وإجراء إصلاحات اقتصادية بغية امتصاص نقمة الشعب.

ووقعت اضطرابات شعبية أخرى فى مدن غدانسك وغدينيا وسكزكين فى أواخر سنة ١٩٧٠ مما أدى الى الإطاحة بغومولكا ، فجاء الروس بوجه جديد آخر هو إدوارد جيرك Gierek الذى حاول رفع مستوى المعيشة واهتم بزيادة إنتاج المواد الاستهلاكية .

وثار الشعب مرة أخرى فى يونيو ١٩٧٦ حين حاول جيرك رفع أسعار المواد الاستهلاكية فتراجعت الحكومة عن قراراتها الاقتصادية (٥٦).

وفى سنة ١٩٧٨ أصبح أسقف مدينة كراكو البولندية كارول فويتيلات Karol Wojtylat أول بابا للفاتيكان من غير الإيطاليين منذ سنة ١٥٢٢ واختار لنفسه اسم "جون بول [يوحنا بولس] الثانى" . وكانت هذه بداية نفوذ جديد للكنيسة فى بولندا . وكانت الكنيسة قد اصطدمت مع السلطات الشيوعية قبل ذلك فى سنوات ١٩٥٣-١٩٥٦ و ١٩٦٥-١٩٦٦[٥٧].

وقام الشعب البولندي بكافة فئاته - بما فيه المسلمون - بعدة انتفاضات شعبية خلال سنوات ١٩٥٦ و ١٩٦٨ و ١٩٧٠و ١٩٧٦ و ١٩٨٠ للتخلص من نير الشيوعية. و لم يتم له ذلك إلا عند انهيار الكتلة الشيوعية .

ويقول المسلم البولندي الدكتور عطاء الله بغدان كوبانسكي Kopansky عن أوضاع المسلمين فى بولندا فى ظل الدولة الشيوعية:

> كان المسلمون فى بولندا أحسن حالا من مسلمى الاتحاد السوفييتي . فقد أتاحت لهم الحكومة البولندية فرص التعبير عن معتقداتهم بأداء شعائرهم ولكن لم تسمح لهم بتشكيل منتدياتهم واتحاداتهم الخاصة بهم

أوأى نوع من السلطة الدينية المستقلة والذاتية .
وسمحت لهم السلطات بإنشاء "اتحاد مسلمى بولندا"
إلا أنها وضعت عليه الكثير من القيود، أهمها منعه
من الاتصال بالمنظمات والاتحادات الإسلامية فى
العالم الإسلامي.

ويضيف الدكتور كوبانسكي قائلا : لقد تعرض المسلمون فى بولندا لألوان كثيرة من الاضطهاد منها الاعتقال فى معسكرات خاصة والترحيل الى سيبيريا و القتل و التعذيب(٥٨).

وكان الحكم الشيوعي أقسى وأشد بالنسبة للمسلمين منه للمسيحيين البولنديين . فمن ناحية ، بقيت الكنيسة البولندية ، ومن ورائها الكنيسة الكاثوليكية المتمثلة فى الفاتيكان، قائمة ترعى مصالح المسيحيين بينما وجد المسلمون البولنديون أنفسهم بدون ملجأ داخل البلاد أوخارجها. ومن ناحية أخرى، تم تقسيم الجالية المسلمة البولندية الى قسمين . فنتيجة ضم روسيا لبولندا الشرقية خلال الحرب العالمية الثانية وجد (٨٥) فى المائة من المسلمين البولنديين أنفهسم وراء الستار الحديدي (٥٩) ، وهم الآن جزء من "الاتحاد الروسي" فى إطار "كومنولث

الدول المستقلة" التى حصلت على شئ من الاستقلال نتيجة انهيار الشيوعية. ولكن روسيا لا تزال تهيمن على كل هذه الكيانات الجديدة سواء أ كانت داخل دولة "الاتحاد الروسي" أو من دول "الكومنولث" .

وقبل الغزو النازي والشيوعي لبولندا فى الحرب العالمية الثانية كان هناك ٣٥ مسجدا فى أنحاء بولندا و لم يبق منها سوى مسجدين فى العهد الشيوعي ، كما لم يبق بها سوى ثلاث مقابر إسلامية.

ودمر الحكم الشيوعي كل المدارس والمؤسسات الإسلامية حتى لم يبق ببولندا مدرسة لتعليم القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية البسيطة للأطفال، فأخذ الآباء المتعلمون يقومون بتعليم أبنائهم القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية سرا في بيوتهم. ونظرا لأن كثيرا من الآباء كانوا شبه أميين فيما يتعلق بمعرفتهم بالإسلام ، تباعدت الأجيال البولندية الجديدة عن الإسلام على مر السنوات. وهكذا قضى العهد الشيوعي على كل الدوريات والمطبوعات الإسلامية (٦٠).

حرب شيوعية مستمرة على الإسلام

عاش المسلمون البولنديون فى الحقبة الشيوعية وراء سياجَيْن من العزلة المفروضة .

ويتمثل السياج الأول فى النظرة الشيوعية إزاء الإسلام والتى كانت تصوغ سياسات الأنظمة الشيوعية المتعاقبة. والنظرة الشيوعية إزاء الإسلام تتسم بالعداء المكشوف والازدراء فى أسوأ الأحوال ، وبالإشفاق فى أحسنها !! ودأبت أجهزة الإعلام الشيوعية على السخرية من الإسلام وقيمه بصورة مستمرة ومنتظمة. وظلت هذه الأجهزة تمسخ حقائق الإسلام وتكذب عنه وتخلع عليه شتى النعوت والإيحاءات، مثل "ثقافة التخلف" و"العصور الوسطى المظلمة" و"عبودية المرأة" و"الملا على حماره وخلفه مجموعة من نسائه المحجبات" (٦١)..

وكانت السلطات توفر السبل للكتاب والصحفيين البولنديين لكى يدرسوا الإسلام وشعوبه لأجل مهاجمة الإسلام بصورة أفضل . ومن أمثلته أن السلطات أرسلت الصحفية

ويسلاوا كرايوسكا Wieslawa Krajewska الى الجزائر لكى تكتب عن الإسلام للبولنديين بعد عودتها . وبعد ثلاث سنوات من الدراسة والسفر والتفرغ أصدرت كرايوسكا هذه كتابا بعنوان المرأة المسلمة ، نشرته دار نشر كاو Ed KAW بوارسو سنة ١٩٧٩. وهذا الكتاب ملئ بالأكاذيب ، وقد وصل الأمر بالكاتبة أن اخترعت أربع آيات "قرآنية" لا وجود لها فى حقيقة الأمر. ومن هذه "الآيات" التى اخترعتها الكاتبة لتبرير ما تزعمه:

- "بنتك نتاج الشيطان"
- "لا تعلمها القراءة و الكتابة"

ومما يدل على اهتمام السلطات الشيوعية بنشر هذه الأكاذيب أن مائتى ألف نسخة من هذا الكتاب طرحت فى الأسواق سنة ١٩٧٩ بينما كان تلاميذ المدارس البولندية يعانون من أزمة حادة فى الكتب المدرسية، ناتجة عن قلة الورق (٦٢).

وأرادت السلطات السماح للمسلمين بالتواجد كشئ "غريب" مجلوب من الشرق فى قديم الزمان واعتبارهم "خريف الدين المحمدى ببولندا" . ولهذا السبب حرصت السلطات على

تواجد المسلمين فى مناطق محددة لكى تستخدمهم كمادة لجذب السياح ولتعرضهم كبقية ثقافية من عهد بائد (٦٣).

أما السياج الثانى – الداخلي – فأقامته الكنيسة الكاثوليكية فى بولندا عبر القرون انطلاقا من كراهيتها العميقة للإسلام. والحقيقة – كما يقول الدكتور كوبانسكى – هى أن تعصبات الشيوعية لا تعدو أن تكون امتدادا لتعصبات الكنيسة وتوسعة لها .

وهذا الوعى البولندي السلبي بالإسلام كان قد وجد دفعا قويا له فى كتابات الكاتب البولندي الكاثوليكي هينريكساينكيويكز Henryk Sienkiewicz (م:١٩١٦) الذى عرض "المسلم" فى كتاباته "كمتوحش قادم من آسيا" Barbarian from Asia ، و"صائد العذراوات البولنديات" The hunter of Polish virgins و"قاطع الطرق التركي" Turkish brigand و"المستبد والشهواني" despotic and lustful الخ ..

وهينريك هذا ، الذى فاز بجائزة نوبل (!) سنة ١٩٠٥ ، كان مؤيدا متحمسا للاستعمار الإنجليزي للهند ومصر والسودان ! وفى روايته "بالنار والسيف" *By fire and sword*

يقوم "سوبرمان" (عملاق) بولندي بإلحاق الهزيمة بـ "المتطرفين المسلمين" وينقذ "أوربا المسيحية من آسيا الإسلامية" (٦٤).

وقليلون من الكتاب البولنديين أنصفوا الإسلام فى كتاباتهم . ومن هؤلاء الشاعر سيبريان كميل نارويد Cyprian Kamil Narwid الذى أهدى إحدى أجمل قصائده الى الشيخ عبد القادر الجزائري الذى حارب الاستعمار الفرنسي فى الجزائر (٦٥).

وكانت مجموعات المستشرقين وجمعيات الصداقة البولندية العربية تصوغ سياسة بولندا نحو مواطنيها المسلمين ونحو الإسلام والعالم الإسلامي .

ويوجد ببولندا عدد كبير من المستشرقين المتخصصين فى الثقافة والسياسة واللغات الإسلامية كالعربية والفارسية والتركية وحتى السواحيلية. وهم مستشارون لدى وزارات التعليم والداخلية والخارجية. وهم يضعون للدولة سياساتها الإسلامية داخل البلاد وخارجها.

ومن هؤلاء المستشرقين ، الذين تصدروا فى الحقبة الشيوعية، الدكتور فرانسيزيك بوكنسكى Franciszek Bochenski والدكتور يانوس دانيكى

Genowefa Czekala وجينوويفا تشكالا Janusz Danecki وإيغيناتزى كراسيتشكى Ignacy Krasicki . وكان هؤلاء يسافرون كثيرا الى البلدان الإسلامية بالتنسيق مع المخابرات الروسية التى كانت تضع السياسات وتنسق بين مختلف أنظمة الكتلة الشيوعية (٦٦).

وكان النظام الشيوعي فى بولندا يحارب الأديان – شأنه شأن سيده فى موسكو – عبر كل القنوات المتاحة ، من تعليم ونشر وإعلام إلخ.. فكان هناك تشجيع سافر مستمر على الإلحاد والزندقة وتثبيط مستمر للتدين. وهكذا لم يكن فى كل أنحاء بولندا عشية الانهيار الشيوعي إلا (٣٫٠٠٠) شخص فقط مسجلين لدى السلطات "كمؤمنين بالأديان السماوية"(٦٧)!.

ونظرا للعلاقات الحميمة التى سادت بين الصهاينة والشيوعيين ، ولدور روسيا الأساسي فى إظهار إسرائيل للوجود، قد قامت علاقات ود وتنسيق بين الكيان الصهيوني والدول الشيوعية. وفى بولندا ، بصورة خاصة، خطت إسرائيل خطوات أوسع فى تسللها الى قنوات صناعة القرار خلال العهد الشيوعي وبعده. وأوضح دليل على ذلك فتح بولندا مطاراتها

ووضع خطوط طيرانها فى خدمة إسرائيل التى استغلتها لنقل المهاجرين اليهود الروس الى الأراضى المحتلة. ورفضت وارسو احتجاجات العالم الإسلامي على ذلك.

وكان النظام البولندي الشيوعي قبل سنوات من انهياره قد سمح "الاتحاد الإسلامي البولندي" Polish Muslim Union بممارسة نشاطه. ولكن لم يكن مسموحا لهذا الاتحاد بالاتصال مع أى تنظيم إسلامي أوناشر خارج بولندا إلا مع هيئات رسمية بالدول التى كانت سائرة آنذاك فى الفلك الشيوعي مثل ليبيا واليمن الجنوبي وسوريا والعراق، بينما لم يكن مسلمو بولندا يميلون الى الاتصال بالهيئات الإسلامية الرسمية بهذه الدول آنذاك(٦٨).

وكان أداء فريضة الحج مشكلة رئيسية بالنسبة للمسلم البولندي لأن المخابرات كانت ترفض السماح بإصدار جواز السفر لأى شخص يرغب فى أداء فريضة الحج . وقليلون تمكنوا فى العهد الشيوعي من أداء الحج بالتحايل للذهاب الى منطقة الشرق الأوسط قبل موسم الحج بحجة أوأخرى ومن ثم توجهوا من هناك الى الأراضى المقدسة.

وهكذا لم يكن ممكنا للمسلمين البولنديين دراسة الدين الإسلامي إلا فى دول الكتلة الشرقية أو الحليفة لها . فكان طلبة بولنديون مسلمون يذهبون للدراسة بكلية خسرو بيك بسراييفو فى البوسنة (الخاضعة ليوغوسلافيا آنذاك) وبكلية الشريعة ببغداد(٦٩).

وخلال الحكم العسكري، الذى دام من سنة ١٩٨١، الى سنة ١٩٨٣، تعرض عدد من المسلمين البولنديين للاعتقال بسبب تنديدهم بالجرائم الروسية فى أفغانستان ولتأييدهم المقاومة الإسلامية فى أنحاء الاتحاد السوفييتي (٧٠).

وخلال عهد الجنرال ياروزلسكى، احتفلت الحكومة البولندية والكنيسة الكاثوليكية البولندية سنة ١٩٨٣ بالعيد الثلاثمائة للانتصار البولندي بفيينا سنة ١٦٨٣ ضد الجيش الإسلامي التركي الذى كان يقوده (كارا مصطفى) . وكان من الغنائم التى رجع بها الجيش البولندي راية السلطان العثماني التى كانت تتضمن خرقة النبى الكريم صلى الله عليه وسلم . وهذه الراية لا تزال موجودة فى متحف كراكوف.

المسلمون
يؤيدون حركة "التضامن"

ومع بدايات انهيار الحكم الشيوعي وظهور نقابة "التضامن" العمالية دب نشاط جديد بين مسلمى بولندا. فأخذوا ينظمون أنفسهم وينشرون الكتب ويترجمون كتبا إسلامية الى البولندية من العربية والإنجليزية . ولم يكتفوا بنشرها داخل بولندا بل قاموا بتهريبها الى بولندا الشرقية الرازحة تحت نير الاستعمار الروسي(٧١).

وأنشأ المسلمون عددا من المراكز الثقافية فى البلاد خلال أوج حركة "التضامن" . وهذه المراكز تستخدم لنشر الكتب الإسلامية فى بولندا والدول المجاورة. وقد ساعدت هذه المراكز، من خلال الحوار مع المسيحيين، على خلق مناخ تفاهم أفضل بين المسلمين والمسيحيين . ومما ساعد على تفهم الإسلام فى تلك الأيام - كما يقول الدكتور كوبانسكى - هو أن العمال البولنديين كانوا يقدرون كل شئ مناهض للشيوعية. وكان الجهاد الأفغاني يتمتع بشعبية كبيرة فى بولندا (٧٢) لكونه ضد عدو مشترك.

وتمكنت المجموعة الإسلامية فى نقابة "التضامن" ، وعلى رأسها الدكتور كوبانسكى ، من نشر وتوزيع عدد من الكتب الإسلامية فى أوساط النقابة . وكان من هذه الكتب : **الإسلام والعصرنة** *Islam and Modernism* لمريم جميلة ونحو فهم **الإسلام** *Towards Understanding Islam* للأستاذ المودودي.

والصحوة الإسلامية العالمية و النتائج الحتمية لسقوط الشيوعية فى معاقلها – الاتحاد السوفييتي وأوربا الشرقية – قد مكنت مسلمى بولندا من إعادة التأكيد على هويتهم الإسلامية والعمل لاستعادة حقوقهم . فللمرة الأولى بعد السنوات المتخللة بين الحربين العالميتين (حين ازدهرت مجلات مثل **المسلم البولندي والمجلة الإسلامية**) تمكن المسلمون من طبع ونشر وترجمة أعمال إسلامية هامة فى مختلف المجالات بلغتهم . وتمكن كثيرون منهم من قياديين وعامة الناس من السفر الى الخارج والاحتكاك بإخوانهم المسلمين هناك فى ظل الحريات الجديدة التى تحققت نتيجة انهيار النظام الشيوعي.

وسقطت الشيوعية فى بولندا فى أعقاب انتخابات ١٩٨٩، التى فازت فيها نقابة "التضامن" العمالية بقيادة ليخ واليسا. وهنا تحرك الفاتيكان بكل قوته وإمكاناته فى محاولة

لملء الفراغ السياسي والروحي والثقافي والفكري الناجم عن سقوط الفكر الماركسي ومؤسساته.

وكان الفاتيكان قد لعب منذ البداية دورا كبيرا من وراء الستار لدعم الحركة المناهضة للنظام الشيوعي . وبعد سقوط الشيوعية قام بابا الفاتيكان - البولندي - بجولة واسعة فى بولندا تجول خلالها فى القرى والنجوع قبل المدن . فلم يبدأ البابا جولته هذه من العاصمة وارسو ، ولكن بدأها بقرية صغيرة على أطراف بولندا، تم تجول بعد ذلك فى أنحاء البلاد. وقد حث البابا البولنديين على ضرورة العودة الى الكنيسة مرة أخرى، وأكد لهم أن الذى أسقط الشيوعية هى الكنيسة ، وأنها ستدعم بولندا بكل قوتها.

المسلمون في بولندا اليوم

يبلغ عدد المسلمين ببولندا الآن نحو عشرين ألفا ، أكثرهم من أصل تتري ، ومن ثم تتميز الفنون البولندية الإسلامية بهذا الطابع . وهم مشتتون ، بصورة عامة ، جغرافيا ومهنيا.

وللمسلمين فى بولندا مفتٍ أكبر يشرف على شئونهم الدينية والثقافية .

وقد سمحت الحكومة البولندية للمسلمين بتشكيل كيان قانوني لهم تعترف به وزارة الأديان ، ومن حقه بناء المساجد وإنشاء المدارس الدينية. ويتمثل هذا الكيان فى "المجلس الإسلامي البولندي" الذى يرأسه (الشيخ مصطفى غاؤسكى). ومقر المجلس ، حسب الدستور، هو العاصمة وارسو ولكن المفتى يقيم بمدينة بياليستوك أكبر معاقل المسلمين فى البلاد. وتوجد بها آثار إسلامية منها مسجدان أثريان يعتبران آخر ما تبقى للمسلمين من مساجد قديمة ، بناهما العثمانيون فى قريتين مجاورتين بالقرب من مدينة بياليستوك، إحداهما تدعى كروزنيانى Kruziniany والأخرى تدعى بوهونيكى Bohoniki

[الى جانب مسجد ثالث فى ليثوانيا التى ظهرت الآن كدولة مستقلة فى أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي].

وقد أعادت الحكومة الديموقراطية الجديدة هذه المسجدين الى الجالية المسلمة . وكان النظام الشيوعي فى ذروة نشاطه المحموم ضد الأديان قد حوّل هذين المسجدين الى متحفين . وهكذا تمكن المسلمون من استئناف الصلاة بهذين المسجدين. وكثيرون من المسلمين - حتى من خارج بولندا - يزورون هذين الأثرين التاريخيين . وكان من هؤلاء المرحوم الشيخ حسن خالد، مفتى الجمهورية اللبنانية ، الذى كان قد زار المسجدين قبل أسبوعين من تعرضه للاغتيال فى بيروت فى ١٦ مايو ١٩٨٩.

وتوجد فى المنطقة الجبلية قرب كروزنيانى مقبرة إسلامية حيث يشاهد الزائر شواهد القبور باللغة العربية يعلوها علم الهلال والنجمة العثماني .

وقد أقام المجلس الإسلامي البولندي مركزا إسلاميا جامعا بمدينة بياليستوك يشمل على مسجد ومدرسة لتعليم القرآن الكريم وقاعة محاضرات ودار ضيافة . وقد قدمت البلدية الأرض لهذا المشروع بسعر منخفض.

ويقيم المسلمون الصلوات بانتظام داخل الحرم الجامعي بمدينة بياليستوك، كما يخططون لبناء مسجد خاص بهم. ويسكن بمدينة غورزو وايلكوبولسكى Gorzow Wielkopolski (١٥٠) مسلما بولنديا وليثوانيا من الذين طردهم الشيوعيون الروس بعد ضم بلادهم الى روسيا سنة ١٩٤٥ (٧٣).

ومنطقة أخرى للتمركز الإسلامي هى مدينة غدانسك ("دانزيغ" عند الألمان) – المطلة على بحر البلطيق – التى انطلقت منها حركة التضامن . وقد شهدت هذه المنطقة أمجاد المسلمين فيما مضى من الزمن، ويوجد بها اليوم ٢٠٠٠ مسلم ومسلمة.

مشكلة الاندماج

الاندماج وذوبان الذات والخصائص من المشكلات الرئيسية التى تعانى منها كل أقلية صغيرة تعيش فى بحر أكثرية كبرى . وقد عانى مسلمو بولندا من هذه المشكلة منذ وفودهم على هذه البلاد قبل ستة قرون . إلا أن كمية الاندماج تتحدد بموقع سكن المسلم فى بولندا . ففى المناطق الإسلامية لا يتزوجون المسيحيين والمسيحيات مطلقا ، بينما فى المدن لا يكتفى الشبان بالزواج من مسيحيات بل يتحولون الى المسيحية أيضا فى بعض الأحايين .

والمرأة المسلمة فى القرى تلتزم بيتها وتقوم بأداء واجباتها المنزلية وقليلا ما تشارك فى الأنشطة الثقافية خارج بيتها ، على عكس الأمر فى المدن . ومن المؤشرات العامة فى حياة الأسر المسلمة أن البنات المتعلمات يتركن القرى وينتقلن للعيش بالمدن وعموما يقطعن صلاتهم بماضيهن الإسلامي . وكثيرا ما ينتهى الأمر بالمرأة المسلمة المتعلمة الى الزواج بنصراني والانتقال للعيش معه فى بيئة ثقافية مختلفة تماما(٧٤)..

الوضع الاجتماعي لمسلمى بولندا

هناك اتجاهان اجتماعيان عامان بين السكان البولنديين المسلمين بصورة عامة :

أولا : التقليديون متشددون ويرفضون التغيير ، وهم يوجدون فى القرى المسلمة فى شمال شرق بولندا. والمرأة هنا تعيش بمفردها وتتمتع بوضع اجتماعي أقل من الرجل.

ثانيا : المجموعات القاطنة فى وارسو وضواحيها. وهؤلاء يمارسون المساواة بين المرأة والرجل وهم يقولون: إن عدم اندماج المرأة فى مجتمع الرجال يعود الى أسباب عملية وليس لأسباب أيديولوجية ونظرية(٧٥).

والمسلمون القاطنون فى مناطق إسلامية تقليدية يمثلون المهن الآتية :

٢٠ فى المائة فلاحون

٥٥ فى المائة عمال بالمصانع

٢٥ فى المائة خريجو جامعات وبالتالى

من العاملين بالوظائف العالية (٧٦).

والمسلمون البولنديون مصابون بقلة الوحدة وهم لا يجتمعون إلا فى المناسبات الدينية الكبيرة . وقد لوحظت علاقات وطيدة بين العائلات المسلمة فى منطقة بياليستوك حيث يعمل كثيرون من رجال التتر فى نفس المصانع (٧٧).

بوادر نهضة

من بوادر النهضة الإسلامية الجديدة فى بولندا ومنطقة البلطيق قيام أشمخ منارة فى سماء شمال أوربا ، و هى منارة "مسجد جمال الدين الأفغاني" الذى أقامه المسلمون بجهودهم الذاتية، وبمساعدات من مسلمين من خارج بولندا، بمدينة غدانسك فى أواخر سنة ١٩٩٠.

ويصدر مسلمو بولندا مجلة إسلامية من هنا – غدانسك– بعنوان الحياة الإسلامية / *Zycie Muzulmanskie* *The Islamic Life*. وكانت هذه المجلة قد أصدرت عددا خاصا بمناسبة افتتاح مسجد جمال الدين الأفغاني (أنظر صورة غلاف هذا العدد على الصفحة القادمة). واحتوى العدد على موجز تاريخ بناء المسجد ومقال عن تاريخ المسلمين فى بولندا عبر ستة قرون كتبه الشاعر المسلم سليم حزبييفتش. وضم العدد أيضا بعض الصور التاريخية لآثار إسلامية اندرست، منها صور مساجد وخريطة للمساجد الخمسة عشر التى دمرها الشيوعيون من مساجد بولندا السبعة عشر قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها.



صورة غلاف العدد الخاص من مجلة الحيـاة الإسلاميـة

وكانت السيدة جميلة مورمان قد افتتحت هذا المسجد وهى مسئولة حكومية بمدينة غدانسك . ويحتوى هذا العدد الخاص على مقال بقلمها حول جدها الشيخ إبراهيم إسماييكيفتش الإمام فى مدينة فيلنو قبل الحرب العالمية الثانية(٧٨).

وقد أنشئ بغدانسك "الاتحاد الإسلامي لبحر البلطيق" الذى يسعى لتنسيق الجهود الإسلامية فى منطقة تشمل روسيا البيضاء و ليثوانيا وبولندا وإيستونيا و لاتفيا (٧٩).

ومدينة غدانسك ، التى دخلت التاريخ كمسقط رأس نقابة التضامن التى غيرت تاريخ بولندا ، هى نفسها مسقط رأس حركة إسلامية لاستعادة الخلافة الإسلامية بإسم "حركة الإحياء الإسلامي" التى تتخذ من غدانسك مقرا لها ، وقد انتشر تأثيرها الى أنحاء الاتحاد السوفييتي السابق، وراياتها ذات اللون الأسود و الأخضر ترفرف فوق أسطح البيوت فى مدن تترستان وبشكيريا وداغستان والشيشان وإينغوشيتيا والقرم وإيديل أورال (٨٠). وكل هذه المناطق يسكنها مسلمون من الأصل التركي والقفقازي .

والجالية الإسلامية فى غدانسك متماسكة للغاية، تتكون من أقارب وأصدقاء وأعضاء "الأخوة الإسلامية"

Ahretni Bracia. وبينهم شخصان معروفان هما الدكتور سليم ميرزا تشازبيويكز Selim Mirza Chazbijewicz رئيس تحرير مجلتى حركة الخلافة والحياة الإسلامية الفصليتين ، ورئيس "مؤسسة التراث الإسلامي البولندي" . وهو كثير التجوال بين المسلمين فى منطقة البلطيق وكومنولث الدول المستقلة . والشخص الآخر هى الأخت حليمة سابانويكز Halima Szabanowicz وهى داعية نشيطة وتنتمى الى "الاتحاد الثقافي الإسلامي البولندي" (٨١).

ومجموعة وارسو أنشطها وهى تنشر مجلة شهرية بالبولندية تدعى الإسلام *Al-Islam* يحررها إمام مسجد وارسو الشيخ محمود طه ذوق ، الذى يقوم أيضا بترجمة بعض الكتب الإسلامية الى اللغة البولندية (٨١/أ) .

ويتقوى مسلمو بولندا بالمسلمين من عرب وآخرين الذين درسوا فى بولندا ثم تزوجوا ببولنديات وآثروا العيش ببولندا وهم مصدر قوة روحية كبيرة لمسلمى بولندا . ومن هؤلاء مازن زين الدين الأستاذ بمدرسة (دار العلوم) الإسلامية بغدانسك. وهناك تعاون وثيق بين مسلمى بولندا والبوسنة .

وكان أربع طلاب بولنديين يدرسون بمدرسة خسروبيك بسرايفو سنة ١٩٩١.

ومن دواعى اعتزاز الحركيين المسلمين فى بولندا أن قرية كاملة فى منطقة كيلتشى Kielce أسلمت وأنشأت منظمة باسم "منظمة الوحدة الإسلامية"Jednose Muzulmanska[٨٢].

وللمسلمين فى بولندا عدة قنوات أخرى أبرزها "اتحاد الطلاب المسلمين"، وهو اتحاد أقامه الطلاب المسلمون والعرب الذين ذهبوا للدراسة ببولندا ... وهناك أيضا بعض الجمعيات والمنظمات الإغاثية الدعوية الضعيفة.

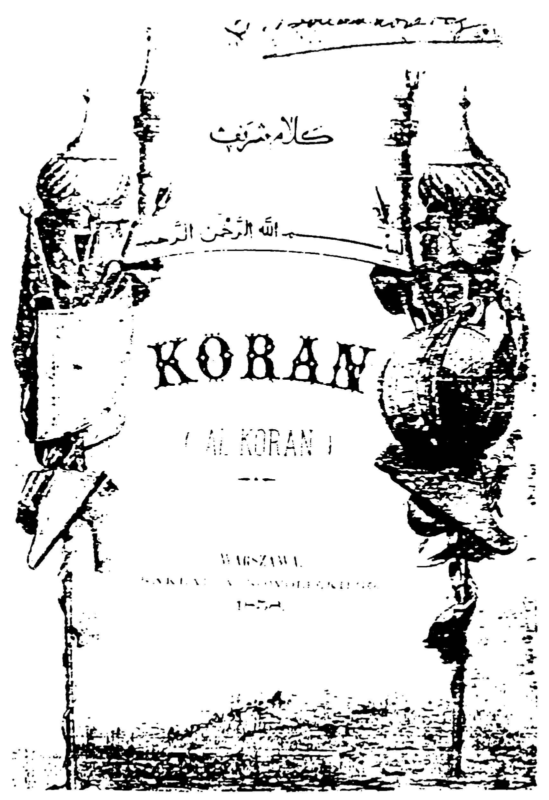
التراث التتري الديني

تركت أجيال التتر المتعاقبة فى بولندا تراثا ضخما من المؤلفات الأصيلة والمترجمة والمنقولة ، الأمر الذى يؤكد على رقى وغناء الحياة الدينية والثقافية التى عاشتها تلك الأجيال بعيدة بآلاف الأميال عن مراكز الإسلام الحضارية .

ويمكن فهرسة الكتب و المجاميع الدينية الرائجة بين التتر، والباقية الى اليوم، فى الأنواع الآتية(٨٣) :

١ – "القرآن" : كان أوائل التتر يحصلون على نسخ مخطوطة من القرآن الكريم أو كانوا ينسخونها بأنفسهم. وتوجد فى النسخ الباقية أدعية وملاحظات باللغتين البولندية والبيلوروسية ولكن بالحروف العربية حول كيفية القراءة و آدابها .

وظهرت النسخ المطبوعة من القرآن الكريم فى أوائل القرن التاسع عشر من مطبوعات مطبعة قازان، ثم من مطابع بَخْشِي سراي بالقرم وحتى من مطبعة برغَنْسْكِي Barganski بسان بطرسبرغ .



غلاف "كلام شريف" (أى القرآن الكريم) المطبوع فى بولندا

٢ – "سُفْرة *Sufra* : هى الجـزء الثلاثـون مـن القـرآن الكريم ، وهى تسـتخدم لتعليـم التـلاوة للأطفـال وللقـراءة على أرواح الموتى.

٣ – "تجويد" *Tejvid* : هى مخطوطات بالتركية القديمة مع ترجمتها البولندية على الهامش بالخط العربي حول كيفية التلاوة و التجويد .

٤ – "تفسير" *Tefsir* : على عكس ما نفهمه من هذه الكلمة ، فالتتر يقصدون بـ"التفسير" ترجماتهم لمعانى القرآن الكريم . ومخطوطاتهم عموما تحوى الترجمـة البـولندية – بالخط العربـي – تحـت كـل سـطر عربى . وهنـاك بعـض مخطوطات "التفسير" تتوارثها الأسر التترية من القرن الثـامن عشر . وهناك نسخ باللغة التركية مع الترجمة البولندية على الهامش.

و لم يكتـف مسـلمو بولنـدا بترجمـة معـانى القـــرآن الكريـــم الى البولندية بـل ترجمـوا كذلـك بعـض التفاسـير بـاللغتين البولنديـة والبيلوروسية (لغة روسيا البيضاء)، وهى بالخط العربي، وتظهـر الترجمة تحت النص العربي سطرا بسطر. وإحدى هذه التفاسير ،

التى أعدت سنة ١٨٩٠، هى بحوزة مفتى بولندا فى فيلنا الآن. ونسخة أخرى من عمل مماثل توجد بالمكتبة الجامعية لفيلنا منذ سنة ١٧٨٨ . وهناك نسختان من تفسير بالبيلوروسية بالخط العربي بمكتبة لييننغراد الجامعية منذ القرن الثامن عشر والأخرى منذ بداية القرن التاسع عشر.

٥ - "كتاب" *Kitab* : هذا النوع من كتب التتر المسلمين بالبولندية يعنى سِيَر الأنبياء وخصوصا السيرة النبوية الشريفة والحديث والفقه والأدب العربي والإسلامي وترجمات الأدعية وتفسير الطقوس الدينية وحتى الحكايات الشرقية ذات الطابع الأخلاقي . وهو مكتوب باللغتين البولندية والبيلوروسية، ولكن بالخط العربي.

٦ - "شمائل" *Chamail* : هذا النوع من الكتب الإسلامية البولندية يعنى كتب الجيب التى يحفظها المسلم معه فى كل مكان ، وهى عموما ترجمة أدعية عربية وتركية. وتوجد فى بعض كتب "الشمائل" الكبيرة التقويم وطرق علاج بعض الأمراض والأدعية لعلاجها وشرح للأيام النحسة وتفسير الأحلام. وكتب "الشمائل" الكبيرة تحوى شروحا لواجبات الإمام وكيفية أداء الطقوس الدينية

كالزواج وغسل الميت ودفنه إلخ .. وهى مكتوبة بالبولندية بالحروف العربية. وهذا النوع من الكتب يتضمن عموما مقدمة باللغة البولندية.

٧ - "دَلاوَرِى" *Dalawary* : أى اللفائف ، وهى ما يحمله الإنسان معه من أدعية أو توضع فى القبور ، وهى تحريف كلمة "دُعالار" - أى "أدعية" - بالتركية.

٨ - "مويهير" *Muehir* : وهى مقتطفات من القرآن الكريم تكتب بأسلوب فني جميل بالحروف العربية وتعلق فى المساجد و البيوت .

وكانت كل بيوت التتر تقريبا تحوى كل هذه الأنواع من الكتب الإسلامية . وأحيانا كان لدى كل عضو بالأسرة نسخته الخاصة به من هذه الكتب . وقد تلف الكثير من هذه الذخائر بعد الحرب العالمية الأولى بينما ضاع أكثرها خلال الحرب العالمية الثانية ، حتى لم يبق من كتب "التفسير" المذكورة عاليه إلا عشر نسخ فى كل بولندا حسب أحد التقديرات الحديثة.

وهناك ندرة فى الكتب الإسلامية المكتوبة بالبولندية رأسا. ومن أوائل هذه الكتب شرح الدين المحمدي أو "الإسلامي" للقاضى يوسف سوبوليفسكى Josef Sobolewski ، الذى كان ينتمى الى التتر، وقد نشر هذا الكتاب بفيلنا سنة ١٨٣٠. وكان قد ألفه للتتر الذين نسوا الحروف العربية. وقد جمع المؤلف بين دفتى هذا الكتاب ما كان لدى التتر من مخطوطات دينية.

وغالبية كتب التتر منقولة عن الكتب المتداولة فى تركستان وغيرها من بلدان شبه جزيرة القرم وحوض الفولغا. ويمكن تقسيم هذه الكتب الى قسمين (٨٤) :

١ – كتب بالخط العربي

٢ – كتب بالخط اللاتيني

والكتب المكتوبة بالخط العربي تنقسم بدورها الى ثلاثة أقسام :

١ – كتب باللغة العربية

٢ – كتب باللغة التركية

٣ – كتب باللغة البولندية

تأثير التتر
فى الثقافة البولندية

للتتر تأثير ملحوظ فى الحياة الثقافية البولندية ، منذ قدومهم الى بولندا ، وخصوصا نتيجة رغبة بولندا فى تحسين علاقاتها مع الشرق . وكان التأثير الشرقي فى بولندا ملحوظا فى الملابس الشائعة مثل القفطان والبشمغ (الحذاء التركي) [الذى كان شعبيا فى عهد زيغمونت الثالث] ، و"حزام أسطنبول" والأسلحة الشرقية ومستلزمات الفروسية (٨٥). وأصبحت المنتوجات التركية من الحديد والأسلحة والسرج والأقمشة تتمتع بشعبية فى أوساط النبلاء البولنديين فى أعقاب معركة فيينا . وأخذ التجار البولنديون يستوردون هذه البضائع من تركيا ثم أخذ التتر يصنعونها ببولندا ، وهم لا يزالون يعملون بها الى اليوم .. وهى تتمثل فى حرف الدباغة وصناعة السجاد وطقم الفرس وصناعة الأحذية إلخ.. ويمكن فهم تأثير التتر فى بولندا من أن اللباس البولندي التقليدي يحاكى اللباس التركي(٨٦). و لم يكن البولنديون يستوردون هذه الأشياء وحدها

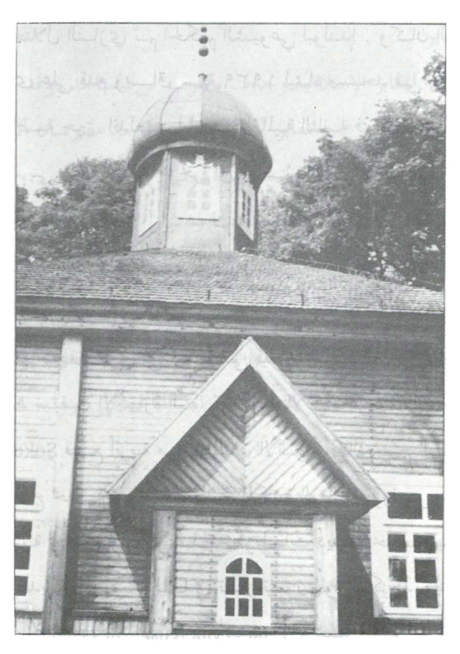
بل كان يستوردون أسماءها أيضا ، وهى قد بقيت الى يومنا هذا في اللغة البولندية (٨٧).

الآثار التترية
فى بولندا

مساجد

حتى قبل الحرب العالمية الأولى كانت هناك مساجد فى ١٩ دائرة ببولندا ، غالبيتها فى القرى التترية . أما قبيل الحرب العالمية الثانية فقيل أن عدد المساجد كان يبلغ ١٦ مسجدا(٨٨). وكان أكبر عدد من هذه المساجد يقع فى مديرية (تراكاى) التى كانت فى وقت من الأوقات منطقة ذات تواجد تتري كثيف . وقد وجد مسجد بمنطقة بازارى Bazary بمديرة تراكاى ، أنشئ سنة ١٦٦٥ وبقى الى سنة ١٧١٩ .

والمسجد القديم فى مديرية غرودنو سابقا [مديرية بياليستوك حاليا] لا يزال قائما كما سبق الإشارة . وكان المسجد قد أنشئ أول مرة من خشب ثم أعيد بناؤه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، من الخشب مرة أخرى . ويوجد برج فوق سطح المسجد على رأسه هلال وهو بديل للمنارة المعهودة فى المساجد الشرقية(٨٩).



مسجد بیالیستوک

ومن أقدم مساجد بولندا مسجد كـيرك تتـار Kyrk Tatar الذى أنشئ سنة ١٥٥٨ وظل قائما الى سنة ١٩٣٩ (٩٠).

وقد دمرت غالبيـة هـذه المساجد سـنة ١٩٣٩ مـع حلـول الاحتلال النـازي ثـم الحكـم الشيوعي لبولنـدا . وكـان العمـل يجرى على قدم وسـاق سـنة ١٩٣٩ لبنـاء مسـجد فـى وارسـو العاصمة حين اندلعـت الحـرب العالميـة الثانيـة فتوقـف العمـل . وقد بنى هذا المسجد مؤخرا الى جانب مسجد غدانسـك الـذى سبقت الإشارة اليه.

متاحف

هناك متحف تتري فى فيلنا أنشئ قبـل الحـرب العالميـة الثانيـة ، وقـد سـبقت الإشـارة اليـه . وتوجـد الآن بمتحــف سـوكوكا Sokoka قطـع أثريـة مـن مختلـف الأنـواع كالنسـيج اليـدوي ونماذج خطيـة . ويوجـد لـدى المكتبـة الوطنيـة بوراسـو ولـدى مكتبـة جامعـة وارسـو عـدة مخطوطــات دينيـة خاصــة بالتــتر البولنديـين. وكـان لـدى تـتر تيموتيـوز اليكزيندرويتـش Tatar Tymoteusz Aleksandrowicz ، خبـير الحضـارة التتريـة

وعاشقها ، الكثير من نماذج الفنون التترية إلا أنها قد انتشرت بعد وفاته سنة ١٩٧٣ .

مقابر

غالبية المقابر الإسلامية وجدت بالقرب من المساجد. وقد نسب التتر الى بعض هذه المقابر "كرامات".. وتوجد مقبرتان أثريتان الى اليوم بالقرب من مسجدى بوهونيكى وكروزينيانى. وهناك مقبرتان فى وارسو ، إحداهما بشارع تتارسكا Tatarska والأخرى بمديرية (وولا) Wola بالقرب من المقبرة البروتستانتية(٩١).

والتتر يعتنون بمقابرهم عناية كبيرة ، ويجتمعون بها فى الاحتفالات فيقومون بتنظيفها وقراءة الفاتحة على أرواح الموتى، كما يتصدقون لإيصال الثواب اليهم .



إحدى مقابر المسلمين البولنديين

الكتب التى تناولت تاريخ التتر فى بولندا

يوجد أول ذكر مكتوب عن التتر فى بولندا فى التاريخ *Chronicle* الذى وضعه الراهب الفرنسيسكانى لوكاز وادينغ Lukasz Wadding الذى قال فى معرض حديثه عن سكان ليثوانيا أن بها أناس "سكيثيون" Scythians (٩٢) ، و"أنهم قد وردوا حديثا من بلاد أحد الخانات وهم يستخدمون لغة آسيوية فى عباداتهم"(٩٣).

وأهم مصدر عن حياة التتر فى القرون الأولى لتواجدهم فى بولندا هى **رسالة تتار ليه** التى ألفها شخص مجهول سنة ١٥٥٨ كتقرير لرستم باشا صهر السلطان سليمان القانوني. ويقول المؤلف، وهو رجل تتري بولندي، فى رسالته هذه بأسلوب اعتذاري أن مساجد تتر بولندا عادية ، متخذة من الخشب، وبدون منارات ، على عكس مساجد أسطنبول الشامخة ، وأن قبورهم ليست مزدانة بالنقوش الجميلة المعهودة فى تركيا. ولكن الكاتب يقول فى الوقت نفسه أن المسلمين

يتمتعون بالحرية فى عهد الملك المتحرر زيغمونت . ويصف هذا الكاتب المجهول تتر بولندا قائلا :

> نحن من قبيلة من داغستان . ونحن لا نسكن فى الخيام ولا نترحل . معظم أسرنا توطنت هنا فى زمن الأمير تيمور. وكان ملك (ليه) قد طلب إمدادات منه ضد أعدائه فأمده الأمير بعدة آلاف من جنوده الأشداء . وحين انتصر الملك بقى هؤلاء فى بلده بطلب منه ، وأغدق عليهم الملك كل أنواع الكرم الملكي مثل الأراضي والملابس والأموال. وإسم هذا الملك الذى تسبب فى دعم الإسلام فى هذه البلاد هو وِيتولد(٩٤) .

وهناك معلومات شيقة حول أحوال مسلمى بولندا فى الربع الأول من القرن السابع عشر فى كتابات المؤرخ التركي إبراهيم بِكزوِي Peczewi. ومما كتبه :

> حين جاء تيمور لنك القوي أسر بعض التتر وباع بعضهم بينما البعض الآخر هرب الى بلاد الكفار واستوطن هناك . ومنذئذ توجد ببولندا ستون

مستوطنة لهم ، بكل منها مسجد . وهم فى خطبتهم يذكرون إسم الملك البولندي . وهم يقولون: إن مستوطناتهم منظمة جدا ومزدهرة... وتتر بولندا ينسخون القرآن الكريم بالحروف العربية بأيديهم ولكنهم يستخدمون لغة الكفار لترجمته و تفسيره . وهم لا يدفعون أية ضرائب للمملكة البولندية بل يقدمون كل سنة من بين أنفسهم ثلاثمائة رجل لخدمة الملك . وهؤلاء يقومون بمهام البريد (٩٥).

ويذكر المؤرخ بكزوي ، كذلك ، قصة سفير لمسلمى بولندا جاء الى مفتى تركيا يستفتى رأيه فى بعض القضايا الدينية(٩٦) ، الأمر الذى يؤكد على نشاط الحياة الدينية فى مسلمى بولندا آنذاك واهتمامهم بقضايا الدين وعلاقتهم بالدولة العثمانية .

ومن الأعمال الأخرى التى تتناول مسلمى بولندا كتاب طبيب وأستاذ من كراكوف يسمى ماسييه Maciej الذى نشر كتابا سنة ١٥١٧ حول المنغول و التتر فعرّف أوربا بهم . وقد ترجم هذا الكتاب الى عدد من اللغات الأوربية . وفى سنة

١٩٢٦ نشر المستشرق الفرنسي المعروف ماسينيون فى الكتاب الذى حرره بعنوان *Annuaire du Monde Musulman* معلومات عن مسلمى بولندا . ونشر آندريه بونامى A. Andre Bonamy كتابا فى باريس عن مسلمى بولندا ورومانيا و بلغاريا بعنوان *Les Musulmans de Pologne, Roumanie et Bulgarie*(٩٧).

والكتب البولندية القديمة حول الإسلام والمسلمين ، مترجمة كانت أو مؤلفة رأسا بالبولندية ، هى من كل الأنواع ، إلا أنها تمتاز بالطابع العدائي للإسلام والمسلمين وخصوصا للتتر والأتراك . وكان القصد من إعداد هذه الأعمال تنبيه البولنديين خصوصا والأوربيين عموما الى "خطر" الإسلام والدفاع ضد أخطار تركيا والتتر ليس عسكريا وسياسيا فقط، بل على الصعيد الديني والأخلاقي والثقافي أيضا . وقد أعد ستاركوفيكى Starkowicki وزايرسكى Zajerski ترجمتين لمعانى القرآن الكريم بالبولندية فى منتصف القرن السابع عشر لهذا الغرض(٩٨) .

ترجمات معانى القرآن الكريم إلى البولندية

يعود الاهتمام بالقرآن الكريم فى أوساط غير المسلمين ببولندا الى القرن السابع عشر حين بدأ المستشرقون فى منطقتى بوميرانيا Pomerania وسيليسيا Silesia يهتمون به . وكانوا يدرسون القرآن الكريم مثالا للغة العربية الكلاسيكية ، كما كانوا يرون أن تعلم اللغات السامية - العربية إحداها - ضروري لفهم الإنجيل . ونتج عن هذا الاهتمام عدة ترجمات لمعانى القرآن الكريم بالبولندية على أيدى هؤلاء.

ولعل أول ترجمة مطبوعة باللغة البولندية كانت تلك التى قام بها المستشرق روتيتش Ruttich سنة ١٧٢١ وهى ناقصة وتمثل جزءا من ترجمته اللاتينية لمعانى القرآن الكريم (٩٩) .

وقام التتري البولندي المسلم سليم مورزا تراك بوكزاكى Murza Tarak Buczacki بترجمة كاملة نشرت لأول مرة سنة ١٨٥٨ ، اعتمد فيها على الترجمة الفرنسية لمعانى القرآن الكريم للمستشرق كازيميرسكى Kazimierski . وقد اعتمد بوكزاكى حتى على تعليقات كازيميرسكى فترجمها الى البولندية. وقام

KORAN

(AL-KORAN)

Z ARABSKIEGO PRZEKŁAD POLSKI

JANA MURZY TARAK BUCZACKIEGO,

TATARA Z PODLASIA

WZBOGACONY OBJAŚNIENIAMI WŁADYSŁAWA [illegible]

POPRZEDZONY

ŻYCIORYSEM MAHOMETA

Z WASHINGTONA IRWINGA

[illegible]

[illegible]

JULIANA [illegible]

[illegible]

Tom II.

№ 25.

[illegible]

1858.

غلاف ترجمة معانى القرآن الكريم بالبولندية لبوكزاكى (١٨٥٨)

أحد أمناء المكتبات ويدعى إلكسندر نوفوليكى Aleksander Nowolecki بمراجعته . ونعرف من مقدمة الترجمة أن المترجم قام بهذا العمل بمساعدة أحد الأئمة . ولم يتمكن المترجم من نشر ترجمته بل قام به إبنه جان (Jan) مورزا تراك بوكزاكى بعد مراجعة الترجمة على الأصل العربي وإدخال تصحيحات وشروح متعددة محتذيا – حسب قوله – بـ " تقليد العائلة" . ومات (جان) قبل أن يكتمل النشر فتولى ذلك مستشرق يدعى ولاديسلاف كوشيوزكو Wladyslaw Kosciuszco الذى كتب بعض الشروح . ويعتبر هذا العمل درة من درر المكتبة البولندية(١٠٠). وكان ناشر الطبعة البولندية قد قال فى مقدمته: إنه توجد لدى بعض العائلات التترية المسلمة ترجمات لمعانى القرآن الكريم ترجمت رأسا من الأصل العربي(١٠١) . وهذه الترجمة – المشار إليه آنفا – صدرت بوارسو سنة ١٨٥٨ فى جزأين، أولهما فى ٦١٨ صفحة والآخر فى ٤١٠ صفحة، وهى بعنوان *Koran (Al-Koran)*.

وتحتوى هذه الترجمة – أيضا – على ترجمة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للكاتب الأمريكي واشنطن إيرفينغ، بالإضافة إلى معلومات حول علاقات بولندا بالتتر والدولة

العثمانية وتاريخ التتر المستوطنين ببولندا والامتيازات التى حصلوا عليها ونبذة عن أشهر التتر البولنديين بقلم يوليان بارتوزيفك Julian Bartoszewicz ، كما تحتوى على معلومات حول العرب قبل الإسلام ونبذة عن الشريعة الإسلامية وترجمة لبعض الأدعية الإسلامية إلخ (١٠٢).

ونظرا للاعتراضات التى أثيرت حول هذه الترجمة، أراد جان بوكزاكى أن يصدر طبعة ثانية يتدارك فيها أخطاءه إلا أن حياته لم تمهله ، فمات قبل إكمال ما أراده (١٠٣).

وهذه هى الترجمة الأولى الكاملة المطبوعة، إلا أن هناك إشارة فى المصادر البولندية الى أن بيوتر ستراكوفيكي Piotr Strakowiecki ، أحد مترجمى المجلس الاستشاري الملكي، كان قد قام بترجمة كاملة لمعانى القرآن الكريم بالبولندية فى القرن السابع عشر إلا أن وفاته حالت دون طبعها.

ونشرت المطبعة اليوغوسلافية الملكية بسراييفو ترجمة آيات مختارة من القرآن الكريم بالبولندية سنة ١٩٣٥ . وهذه الترجمة التى قام بها المفتى زينكوفيتز Szynkiewicz هى أول ترجمة

بولندية لمعانى القرآن الكريم رأسا من العربية . وهناك ترجمات ناقصة كثيرة بالبولندية بالخطين العربي واللاتيني (١٠٤).

وترجمات معانى القرآن الكريم التى تمت فى بولندا هى من عدة أنواع :

أولا : ترجمات باللغة اللاتينية قام بها القسس والرهبان النصارى ، وكان الهدف منها - كالعادة - هو دحض القرآن الكريم وليس نشر تعاليمه. ولم تكن هذه الترجمات اللاتينية موجهة لعامة الناس بل للقسس والرهبان لكى يتخذوها وسيلة لمحاربة الإسلام . ولم يكن الفاتيكان يسمح بنشر أية ترجمة للقرآن ما لم تكن تتضمن فى الوقت نفسه دحضا لما جاء فيه ! وقد نشرت بعض هذه الترجمات المحظورة فى القرن التاسع عشر بعد زوال هيمنة الفاتيكان . وقد وجد باحث مسلم أجرى دراسة حول ترجمات معانى القرآن الكريم بالبولندية مخطوطا لترجمة معانى القرآن الكريم باللاتينية كان الفاتيكان قد رفض التصريح بطبعه لخلوه من الهجوم على الإسلام(١٠٥).

ثانيا : ترجمات معانى القرآن الكريم قام بها مسلمون باللغتين البولندية والتركية - بالخط العربي - لخدمة

مسلمى بولندا حين تم تغيير خط البولندية الى الخط اللاتيني.

ثالثا : ترجمات معانى القرآن الكريم بالبولندية بالخط اللاتيني قام بها بولنديون من غير المسلمين ، من وجهة نظر مسيحية، وذلك لفائدة المستشرقين وآخرين (١٠٦).

وهناك عدة تراجم لبعض السور أو المختارات فقط(١٠٧).

وقام مستشرق بولندي عاش بروسيا بترجمة لمعانى القرآن الكريم إلى الروسية وهى بحوزة المستشرق الروسي كراتشوفسكى. وقام مستشرق بولندي آخر يدعى كازميرسكى Wojcieck Kazmirski بترجمة معانى القرآن الكريم الى الفرنسية و نشرها سنة ١٨٤٠.

ولا توجد الى اليوم ترجمة أدبية علمية دقيقة لمعانى القرآن الكريم بالبولندية . وآخر ترجمة ظهرت بالبولندية هى تلك التى قام بها البروفيسور جوزيف بيلاوسكى Josef Bielawski . وقد نشرت أجزاء من هذه الترجمة فى مختلف المطبوعات قبل نشرها فى صورة كتاب . وكان البروفيسور بيلاؤسكى رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة وارسو . وهو متقاعد

الآن [١٠٦]. وقـد اسـتغرق إعدادهـا (٣٥) سـنة مـن العمـل الدؤوب، إلا أنها غير مقبولة فى نظر المسـلمين لاحتوائهـا علـى أخطاء ومغالطات .

برنامج عمل مسلمى بولندا

برنامج عمل المسلمين البولنديين بسيط للغاية . فكل ما هم يطمحون اليه هو أن يتعلموا من جديد مبادئ الدين الحنيف وأن يحاربوا التأثيرات الثقافية الضارة التى دبت الى أوساطهم عبر الدهور وخصوصا فى العهد الشيوعي .

ويواجه المسلمون البولنديون ، رغم الحريات الجديدة فى ظل النظام الديمقراطي الجديد ، مشكلات عويصة فى سبيل الحفاظ على هويتهم وإيمانهم . ولا يزال كثيرون من المسلمين، وخصوصا أولئك الذين ترعرعوا فى ظل الهيمنة الشيوعية ، يعانون من جهل محزن بتعاليم دينهم الأساسية . وقد شاع بينهم الزواج مع غير المسلمين . ويقول رئيس الاتحاد الإسلامي البولندي (مصطفى غاؤسكى) : "إن ٧٠ فى المائة من حالات الزواج فى بولندا تكون فى غير صالح المسلمين". وهو يضيف قائلا : "إننا نجد عائلات مسلمة مختلطة، فجزء من الأولاد مسلمون وجزء آخر نصارى ... وهو خطأ كبير نحاول أن نصححه". وينتج عن هذه العادة تقسيم غريب داخل الأسرة الواحدة . فعندما يكون الأب كاثوليكيا والأم مسلمة ،

على سبيل المثال ، يقومان بتقسيم الأولاد بين الديانتين . والأم جاهلة لدرجة أنها لا تدرك أنها قد ارتدت عن دينها بزواجها من غير مسلم . ويقول مصطفى غاؤسكى : إن معلومات المسلمين فى بولندا عن الإسلام ضعيفة وفى الغالب مشوهة ، لأنها مستقاة من كتب ألفها غير المسلمين . ويشتكى مصطفى غاؤسكى من أنه لا توجد حتى الآن أية خطوات جادة لدعم المسلمين فى بولندا (١٠٩).

إن المسلمين فى بولندا فى حاجة ماسة الى علماء مسلمين يتحدثون بلغتهم لإرشادهم وتربيتهم . وهناك حاجة لترجمة المصادر الإسلامية الأساسية فى شتى القضايا لإطلاع المسلمين على أصول دينهم ومساعدتهم على ممارسة واجباتهم وطقوسهم الدينية. وهناك دعاة متطوعون يلقون الدروس الدينية فى مختلف المناطق .

المسلمون فى بولندا يقفون وحيدين على الساحة دون عون أو مدد من العالم الإسلامي ، فهم فى حاجة الى دعاة ومدرسين ليعلموهم أمور دينهم ودنياهم ويعيدوهم الى حياتهم الإسلامية التى افتقدوها خلال سنوات الحكم الماركسي الطويلة.

وقد استفاد المسلمون فى أوروبا الشرقية من جـراء سـقوط الماركسية ، فقد بـدأوا فـى ممارسـة عبـاداتهم مـن جديـد وبنـاء المساجد وفتح أبواب المساجد المغلقة. وشوهدت لأول مرة منـذ سنوات طويلة قوافل الحجاج والمعتمرين مـن هـذه البلـدان بعـد أن ظلـوا ممنوعـين مـن أداء هـذه الفريضـة منـذ الحـرب العالميـة الثانيـة. ولكــن هـذه الحريـات الجديـدة قـد تـؤدى الى ذوبـانهم وضياعهم فـى حالـة فشـلنا فـى الأخـذ بـأيديهم .. وذلـك لأن الكبـت والضغـط السياسـي والثقـافي يولـد رد فعـل قـوي فـى الأقليـات ويدفعهـا لتتعلـق بدينهـا وتراثهـا ، أمـا لـو توفـرت الحريات الاجتماعية والسياسية الكاملة فإمكان الزيغ والانحراف متوفر بصورة كبيرة إلا لو تنبه العاقلون فى تلك الأقليـة وقـاموا بالتوجيه والإرشاد.

ويمكن استخدام الفرص الجديدة والتغلـب علـى التحديـات الجمة التى تمثلهـا الظـروف الجديـدة بتوفـير صـلات أعمـق بـين المسلمين البولنديـين والمسـلمين الآخريـن خـارج بولنـدا . ومـن واجب المجموعات الإسـلامية المزيـد مـن الاهتمـام بهـذه الجاليـة المجاهدة التى تعانى من حصار ديني وثقافي فى بيئتها . ويشـتكى مصطفى غاؤسكي – مثله مثل زعماء أقليات إسلامية كثـيرة –

من أن جماعات إسلامية متعددة لم تف بوعودها والالتزامات التى قطعت على نفسها لنصرة المسلمين البولنديين.

إنهم الآن على مفترق الطرق بعد سقوط الماركسية ، فهم إما سيقعون فريسة الكنيسة أو سيذوبون فى المجتمع البولندي وتطغى عليهم الحضارة الغربية المادية التى تمثل خطرا كبيرا على شعوب أوربا الشرقية بل وعلى العالم أجمع.

كوبانسكي:
وجه إسلامي من بولندا

من أبرز وجوه مسلمى بولندا الحديثة الدكتور عطاء ا لله بغـدان كوبانسكى Kopanski الذى أسلم – أو على حد قوله "عاد الى الإسـلام" – سـنة ١٩٧٤. وهـو يحمـل درجتـى الماجسـتير والدكتوراه فى التاريخ (١١٠).

وكان الدكتور كوبانسكى قد تعرض للاعتقال فى ديسمبر ١٩٨١ لعملـه لنقابـة "التضـامن" التـى كـان يقودهـا الرئيـس البولندي الحالي ليخ واليسا ، وتعرض للتعذيب فى السجن.

وأطلـق سـراحه بعـد سنة و نصـف سـنة إثـر الانقـلاب العسكـري الـذى قـام بـه الجنرال ياروزلسـكى لإنقـاذ النظـام الشـيوعي . وهددتـه المخـابرات البولنديـة بمغـادرة البـلاد وإلا تعرض للقتل، فهاجر الى الولايات المتحدة .

وكان كوبانسكى عضوا فعالا بالحزب الشـيوعي ، وكـان مكلفا بإعداد كتب شيوعية لبـلاد العـالم الثـالث. وكجـزء مـن عمله هذا زار المغـرب وإيـران وسـوريا وليبيـا لتقييـم الأوضـاع

الدكتور كوبانسكي وزوجته المحجبة

حول إمكانية قيام ثورات شيوعية بهذه الدول . وقادته هذه الجولات والاتصالات الى اللقاء ببعض الإخوان المسلمين فى سوريا . ومن عجيب الأمر أنه حصل على عناوينهم من المخابرات السورية . وقابل كوبانسكى رجلا من الإخوان يسمى (سيد رمضان) بهدف الحصول على معلومات عن الحركة . وقدم له هذا الشخص فى نهاية اللقاء هدية ملفوفة . وعندما فتحها كوبانسكى وجد نسخة من الترجمة البولندية للقرآن الكريم . وقرأ كوبانسكى فاتحة الكتاب ووجد نفسه مقبلا على الوحي ومتفهما له ، ثم أخذ يقرأ الترجمة الى أن انتهى منها..

وعاد كوبانسكى إلى بلاده من سوريا وقد اهتزت عقيدته الشيوعية . وبعدها بقليل زار تركيا و هنا دخل مسجدا وأعلن عن نيته لاعتناق الإسلام.

وزار كوبانسكى سوريا مرة أخرى وأخبر (سيد رمضان) وآخرين من حركته بأنه قد اعتنق الإسلام. ثم تزوج امرأة سورية فاضلة. وعند عودته إلى بولندا أنشأ جمعية إسلامية لنشر المعلومات الإسلامية بين العمال. وساعدته زوجته على ترجمة عدد من الكتب الإسلامية الى البولندية .

وحين اقترح ليخ واليسا على كوبانسكى سنة ١٩٧٩ بأن ينضم إلى نقابة التضامن تردد فى بداية الأمر، ولكن زوجته حثته على قبول العرض قائلة: إن هذا سيمكنه من نشر رسالة الإسلام وتقوية موقف العمال المسلمين داخل نقابة "التضامن" . وهكذا قبل كوبانسكى عرض "التضامن"، فكلّف بمهمة إعداد المطبوعات للتوزيع الجماهيري. وكان من مهامه أيضا الاتصال بأجهزة الإعلام العالمية . وسرعان ما اكتشفت السلطات دوره واعتقلته، فعاش بالسجن ١٨ شهرا ثم أجبر على الهجرة من بلده.

وكان رئيس نقابة التضامن (وهو الرئيس البولندي الحالي) ليخ واليسا قد قال ذات مرة: إن الدكتور كوبانسكى هو المخ وراء تنظيم وتطوير نقابة العمل المستقلة فى بولندا. وكوبانسكى يقول بنفسه يسرد سيرة حياته :

"لا أحب أن يقول أحد عنى إننى أسلمت . فأنا أؤمن بأن كل مولود يولد مسلما ، وأبواه هما اللذان يزيحانه عن طريق الإسلام . إنه يمكنك أن تسأل : كيف عدت الى الإسلام ؟ لقد قرأت فى الجرائد وشاهدت على التليفزيون أحداث حرب

الجزائر حين كنت أبلغ من العمر إثنتى عشرة سنة. كان مجاهدو الجزائر يحاربون قوة استعمارية ، فشعرت بالإعجاب بالجزائريين . وهكذا انفتحت فى عقلى نافذة للاهتمام بالإسلام.

ودخلت الكلية البولندية العسكرية بعد الثانوية العامة . وتعرضت للاعتقال بعد ذلك بسنتين . وكنت آنذاك شيوعيا معتدلا ، ولكنهم خصصونى بالكثير من العنف الجسدي والروحي لمجرد أننى رفضت الاشتراك فى الحملة على تشيكوسلوفاكيا.

وهنا رفضت الشيوعية ، ومال قلبى بنفسه نحو الله . وكانت أمامى الديانة المسيحية ، فأخذت أقرأ عن كل من المذهبين البروتستنانتسي والكاثوليكي، ولكنى لم أعجب بهما . وعند وصولى الى هذه المرحلة من حياتى كنت فى مرحلة الماجستير بقسم التاريخ . وكان هناك أساتذة مشفقون وجيدون ولكنهم لم يؤثروا فيّ ..

ولجأت الى القساوسة ولكن لم أفلح فى الحصول على شئ منهم لأنهم كثيرو الحديث عن

حب الله بينما هم يحتقرون عامة الناس . وشعرت بأن المسيحية دين ميت ولا يمكنها أن تعطيني شيئا . وقادني بحثي عن الله الى دراسة البوذية والهندوسية والشنتوية والجينية واليهودية، ولكن لم أشعر بالسكينة في أي منها . وفي هذه الأثناء قابلت طالبة استشراق (ملارا) فأعطتني نسخة من القرآن الكريم. ولكن لم أفد منه لكوني أجهل العربية آنذاك. وتوفيت تلك الطالبة ولكن لم أنس القرآن .

وفي سنة ١٩٧٢ حصلت على الترجمة البولندية لمعاني القرآن الكريم . وكان قد قام بها مسلم بولندي سنة ١٨٥٨. وهذا التعريف بالله في لغتي أثر في نفسي كثيرا، فقرأت هذه الترجمة بإمعان . وشعرت وكأنني قد اكتشفت ربي وأنني قد اكتشفت الهدف من حياتي . وشعرت بسكينة لم أشعر مثلها في حياتي من قبل .

وفي هذه الأثناء ذهبت الى تركيا بحثا عن مواد لرسالتي للدكتوراه. وسمعت هناك الأذان

فأعجبنى لدرجة أننى قررت اعتناق الإسلام . كان هذا فى سبتمبر ١٩٧٤ فدخلت مسجدا هناك لإعلان إسلامى . وعندما عدت الى بولندا كنت - والحمد لله - مسلما . وسجلت نفسى فى سجل الاتحاد الإسلامي البولندي . وبعد حصولى على الدكتوراه سنة ١٩٨٠ عينت مدرسا فى الجامعة . وهنا سحبت إسمى من عضوية الحزب الشيوعي.

وتزوجت إمرأة دمشقية محجبة تدعى (ماريان بنت عبد الله) ، وهى سيدة عالمة و فاضلة . وأنا أتعلم منها العربية والعلوم الإسلامية وصحيح البخاري . وهى تحفظ صحيح البخاري وهى مدرِّستى للقرآن والحديث الشريف ونعم رفيق لى. ولنا ثلاثة أولاد ، ولدان هما "خالد" و"طارق" وبنت هى "سمية" . وخلال سجنى كانت زوجتى تهتم بتوفير الأطعمة واللحم المذبوح على الطريقة الإسلامية لى فى السجن.

ولجأت الى السفارة الأمريكية بوارسو بعد إنذار المخابرات سنة ١٩٨٢، ثم هاجرت الى الولايات المتحدة ، وأنا أعيش بها الآن مع زوجتى وأولادى. وأنا أول بولندي سعد بالحج بعد الحرب العالمية الثانية. وشاركت فى الجهاد مع المجاهدين الأفغان سنة ١٩٨٨. وحللت ضيفا عند قلبدين حكمتيار الذى أنا معجب به . وأنا أؤمن بأن الإسلام وحده هو الطريق نحو الله وعلاج آلام البشرية المريضة.

هوامش البحث

(التفاصيل الببليوغرافيا الكاملة لهذه المراجع مذكورة في **مراجع البحث** أدناه)

(١) Antonowicz-Bauer, p. 345.

(٢) **المصدر السابق** .

(٣) Ma'ayergi, p. 538.

(٤) **المصدر السابق** .

(٥) Grzymala-Moszeizynska, p. 73.

(٥/أ) Antonowicz-Bauer, p. 352.

(٦) **المصدر السابق**، ص ٣٤٦ .

(٧) **المصدر السابق** ص ٣٤٧ .

(٨) **المصدر السابق** ، ص ٣٤٨ .

(٩) **المصدر السابق**.

(١٠) **المصدر السابق** ، ص ٣٤٧.

(١١) لم يكن الأمراء التيتونيون يعترفون بالبولنديين والليتوانيين والتشيك والروثينيين كمسيحيين "حقيقيين" وبالتالى جاز لهم نهبهم وقتلهم !

(١٢) Antonowicz-Bauer, p. 348 .

(١٣) Kopanski, *Impact International,London,* August 1984, p. 8.

(١٤) Antonowicz-Bauer, p. 348 .

(١٥) المصدر السابق .

(١٦) المصدر السابق ص ٣٤٩ .

(١٧) المصدر السابق ص٣٤٦ .

(١٨) المصدر السابق .

(١٩) المصدر السابق ص ٣٤٧ .

(٢٠) المصدر السابق .

(٢١) المصدر السابق ص ٣٥٢ .

(٢٢) المصدر السابق ص ٣٥٢-٣٥٣ .

(٢٣) المصدر السابق ص ٣٥٠ .

(٢٤) المصدر السابق .

(٢٥) المصدر السابق ص ٣٥١ .

(٢٦) Grzymala-Moszezynska, p. 73 .

(٢٧) Ma'ayergi, p. 539 .

(٢٨) Antonowicz-Bauer, p. 353 .

(٢٩) المصدر السابق ص٣٤٩ .

(٣٠) المصدر السابق .

(٣١) Antonowicz-Bauer, p. 352; Majchrowski, p.84; Grzymala-Moszezynska, p. 74.

(٣٢) Majchrowski, p. 84; Ma'ayergi, p. 539 .

(٣٣) Antonowicz-Bauer, p. 358 .

(٣٤) Grzymala-Moszezynska, p. 73 .

(٣٥) Antonowicz-Bauer, p. 353 .

(٣٦) Ma'ayergi, p. 539;

Kopanski, *Impact International* ; p. 8;

(٣٧) Kopanski, *Impact International*, p. 9 .

(٣٨) المصدر السابق .

(٣٩) Palmer, p. 303

(٤٠) Ma'ayergi, p. 539 .

(٤١) *Ibid*; Kopanski, *Impact International*, p. 8 .

(٤٢) Kopanski, *Impact Intll.*, p. 9;

Moszezynska, p. 74.

(٤٣) Palmer, *loc. cit*. .

(٤٤) Antonowicz-Bauer, p. 351 .

(٤٥) المصدر السابق

(٤٦) Majchrowski, p. 84 .

(٤٧) Antonowicz-Bauer, p. 351. .

(٤٨) Grzymala-Moszezynska, p. 74 .

(٤٩) Palmer, p. 303 .

(٥٠) Grzymala-Moszezynska, p. 74 .

(٥١) Kopanski, *Impact International*, p. 9 .

(٥٢) **المصدر السابق** .

(٥٣) Grzymala-Moszezynska, p. 74 .

(٥٤) Kopanski, *Impact International*, p. 9 .

(٥٥) Antonowicz-Bauer, pp. 351-2 .

(٥٦) Palmer, p. 303 .

(٥٧) **المصدر السابق** .

(٥٨) مجلة **الدعوة** الأسبوعية ، الرياض ،
عدد ٢٧ يناير ١٩٩٢، ص ١٨.

(٥٩) Kopanski, *Impact International*, p. 9

(٦٠) **المصدر السابق** .

(٦١) **المصدر السابق** ، ص ٨ .

(٦٢) **المصدر السابق** .

(٦٣) **المصدر السابق** .

(٦٤) **المصدر السابق** .

(٦٥) **المصدر السابق** .

(٦٦) **المصدر السابق** .

(٦٧) Kopanski, *Al-Islam*, p. 26 .

(٦٨) Kopanski, *Impact International*, p. 8 .

(٦٩) **المصدر السابق** .

(٧٠) **المصدر السابق** .

(٧١) **المصدر السابق** ، ص ٩ .

(٧٢) *Arabia*, London, September 1984, p. 88 .

(٧٣) Kopanski, *Al-Islam*, p. 26 .

(٧٤) Grzymala-Moszezynska, p. 75 .

(٧٥) **المصدر السابق** .

(٧٦) **المصدر السابق**، ص ٧٤ .

(٧٧) **المصدر السابق** .

(٧٨) جريدة **الشرق الأوسط** ، عدد ١٥ يناير ١٩٩١.

(٧٩) Kopanski, *Al-Islam*, p. 26 .

(٨٠) **المصدر السابق** .

(٨١) **المصدر السابق** .

(٨١/ أ) مجلة **الأمة** القطرية ، عدد أبريل ١٩٨١، ص ٨٣ ؛

Grzymala-Moszeizynska, p. 74

(٨٢) Kopanski, *Al-Islam*, p. 26 .

(٨٣) هذه المعلومات مستقاة عن

Antonowicz-Bauer, pp. 355-7

(٨٤) Ma'ayergi, p. 539 .

(٨٥) Antonowicz-Bauer, p. 357 .

(٨٦) Grzymala-Moszezynska, pp. 73-4 .

(٨٧) Antonowicz-Bauer, p. 357 .

(٨٨) عطية الله ، **القاموس الإسلامى** ١/٣٩٥ .

(٨٩) راجع للمزيد من التفاصيل حول تاريخ المساجد ومواقعها فى مختلف أنحاء بولندا :

Antonowicz-Bauer, pp. 353-5.

(٩٠) Antonowicz-Bauer, p. 354 .

(٩١) **المصدر السابق** ، ص ٣٥٥ .

(٩٢) نسبة الى سكيثيا Scythia و هو الإسم القديم للمنطقة الواقعة بجنوب شرق أوربا وآسيا شمالي البحر الأسود .

(٩٣) Antonowicz-Bauer, p. 358.

(٩٤) **المصدر السابق**

(٩٥) **المصدر السابق** ، ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٩٦) **المصدر السابق** ، ص ٣٥٩.

(٩٧) **المصدر السابق** .

(٩٨) أنظر لعرض عن المكتبة البولندية حول الإسلام من كتب و دوريات : Majchrowski (1986), pp. 84-5.

(٩٩) Ma'ayergi, p. 542 .

(١٠٠) **المصدر السابق**

(١٠١) Antonowicz-Bauer, p. 355 .

(١٠٢) New York Public Library, the Slavnic Division, *The Koran in Slavonic* (New York

1937) pp.5f, quoted in Ismet Binark and Halit Eren, *World bibliography of the meanings of the Qur'an-printed translations*, 1915-1980 (Istanbul 1986), p. 382.

(١٠٣) Antonowicz-Bauer, p. 355.

(١٠٤) Ma'ayergi, pp. 544-5

(١٠٥) راجع عن الترجمات البولندية للقرآن الكريم باللغة اللاتينية : Ma'ayergi, p. 542

(١٠٦) راجع لدراسة شاملة حول ترجمات معانى القرآن الكريم بالبولندية دراسة المسلم البولندي ماسى كونوباكى نشرها بمجلة **زناك** *Znak* الصادرة بكراكو سنة ١٩٧٣ (عدد ٢٢٤ ص ٢٧٦-٢٨١) و ترجمه الى الفرنسية م. أحمد ستاسياك M. Ahmad Stasiak و نشرها بمجلة **فرانس إسلام** *France Islam* الباريسية (عدد أغسطس - ديسمبر ١٩٧٧ ص ١٢٦-١٣٠) . و قد تم هذا العمل بجهود العالم المسلم الدكتور محمد حميد الله (معايرجى ص ٥٤١) .

(١٠٧) راجع عصمت بينارق وخالد إيرين ، **البيليوغرافيا العالمية لترجمات معانى القرآن الكريم - الترجمات المطبوعة ١٥١٥-١٩٨٠** ، ص ٣٨٣-٣٨٤ .

(١٠٨) Ma'ayergi, pp. 541-2

(١٠٩) **مجلة الدعوة** ، الرياض ، عدد ٢٣ يوليو ١٩٩٢ ، ص ١٥ .

(١١٠) هذه المعلومات حول الدكتور كوبانسكى
مستقاة عن مجلة **تكبير** الأسبوعية الباكستانية ،
عدد ٥ أبريل ١٩٩٠ ص ٣٠-٣١ ،
و مجلة *Arabia* ، لندن ، عدد سبتمبر ١٩٨٤ ،
ص ٨٨-٩٠ .

مصادر البحث

١- **الأمة** ، قطر ، (مجلة) ، "لأول مرة معانى القرآن بالبولندية"، عدد أبريل ١٩٨١، ص ١٨٣ ؛ "معانى القرآن بالبولندية"، عدد سبتمبر ١٩٨١، ص ٩١.

٢- **الجهاد** ، طهران (جريدة) ، "المسلمون فى بولندا: الماضى والحاضر"، ٣ شعبان ١٤٠٣ (١٦ مايو ١٩٨٣).

٣ - **الدعوة** ، الرياض (مجلة) ، "المسلمون البولنديون يناشدون إخوانهم : أين العلماء والدعاة والمصاحف والمساعدة ؟" عدد ٢٣ يناير ١٩٩١ (١٤١٢/٧/١٩) ص ١٧-١٨ ؛ "بعد أن تحرروا من الشيوعية : المسلمون فى بولندا : هل نضيعهم مرة أخرى؟ !" عدد ٢٣ يوليو ١٩٩٢ (١٤١٣/١/٢٣) ص ١٤-١٥.

٤ - **الرياض** ، الرياض (جريدة) ، "أحوال المسلمين / المسلمون فى بولندا ...." عدد ٢٧ ديسمبر ١٩٩١.

٥ - طه ، أسعد ، "عدد خاص من مجلة الحياة الإسلامية البولندية"، جريدة **الشرق الأوسط** ، ١٥ يناير ١٩٩١.

٦ – عارفى ، محمد نعيم، "برده عورت كـ وقار كا محافظ" مجلة **تكبير** الأسبوعية (كراتشى) ٥ أبريل ١٩٩٠، ص ٣٠-٣١ .

٧ – **العالم الإسلامي** ، مكة (جريدة) ، "المسلمون فى بولندا : فى مواجهة التنصير بعد سقوط الشيوعية"، ٧ فبراير ١٩٩٤.

٨ – عطية الله ، أحمد ، **القاموس الإسلامى** (القاهرة ١٩٦٢) ٣٩٥/١ (مادة "بولندا") .

٩ – وكالة الأنباء الإسلامية ، "عدد المسلمين فى بولندا عشرة آلاف و حاجتهم ماسة الى الدعم والمساندة" ، جريدة **الشرق الأوسط** ، ٢٨ ديسمبر ١٩٩٠.

10. Adam, Deria, 'Five centuries of Islam in Poland,' *Crescent International*, Toronto, 31 August 1992.

11. Antonowicz-Bauer, Lucyna, 'The Tatars in Poland,' *Journal Institute of Muslim Minority Affairs* (*JIMMA*) V:2 (1984) pp 345-359.

12. *Arabia*, London, 'Worker for Islam with strength of Solidarity,' September 1984, pp 88-90.

13. Binark, Ismet and Eren, Halit, *World bibliography of translations of the meanings of the Holy Qur'an: printed translations*, 1515-1980 (Istanbul 1980).

14. Grzymala-Moszezynska, Halina, 'Islam and feminism in Poland,' *JIMMA*, XI:1 (January 1990) pp.73-6.

15. Kopanski, Bogdan Ataullah, 'The Unknown Muslims of Poland' *Impact International* (London) 10 August 1984, pp 8-9

16. *Al-Islam* (Nairobi), 'Baltics : hopes for an Islamic revival,' September 1991, pp. 26-7.

17. Ma'ayergi, Hassan, 'History of translations of the meanings of the Glorious Quran into the Polish language,' *JIMMA*, VII:2 (July 1986) pp. 538-46.

18. Majchrowski, Jacek M., 'Islam in Polish scientific literature,' *JIMMA*, VII (January 1986) pp. 84-7.

19. Palmer, Alan, *The Penguin dictionary of twentieth century history-1900-1978* (London 1979).

20. Geoffrey, Barraclough, *The Times Atlas of world history*, 3rd imprint, London, 1979.

ب – مراجع أخرى عن مسلمى بولندا لم يتسن للمؤلف الاطلاع عليها عند إعداد هذه الدراسة :

١ – عبد الكريم أبو النصر ، **بولندا – شرق أوربا**، بيروت : دار النهار، ١٩٦٨.

2. Denffer, Ahmad von, 'Islam and Muslime in Polen,' *Al-Islam*, Islamisches Zentrum Munchen, 1985, pp. 18-20.

3. Jan, Rahicman, *The Islamic ruins in Poland*, Warsaw, the Institute of Oriental Studies, 1958.

4. Konopacki, M., "O Muzulmanych Polskich ' *Prezeglad Orientalistczny* 1962 : 3, pp. 225-240.

5. Konpacki, M. Maciej, 'De l'histoire de la traduction du Coran en Polone avec Bibliographie,' *Znak* (Cracovie) Rok XXV, Luty 2 (1973) No. 224, pp. 276-281.

محتويات الكتاب

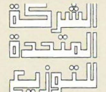
هذا الكتاب

هناك أقلية إسلامية عريقة في بولندا، تعتبر أقصى امتداد إسلامي في القارة الأوروبية قبل قرون طويلة من تواجد جاليات الأبناء المهاجرين إلى البلدان الأوروبية في العصر الحاضر.

وهذه أول دراسة متكاملة - بأية لغة - عن هذه الأقلية الإسلامية المجهولة بقلم أحد المتخصصين في شؤون الأقليات الإسلامية.

وسنقدم في هذه السلسلة دراسات مستفيضة حول الأقليات المسلمة في العالم وخصوصاً المجهولة منها.

تطلب جميع منشوراتنا من



بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ - ص . ب ٧٤٦٠ - برقيا : بيوشران